موقف الإمام ابن عطية من الدخيل في تفسيره

إعداد الأستاذ الدكتور

محمد عبد الجليل حسن محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

عميد كلية البنات الأزهرية بأسوان

جامعة الأزهر

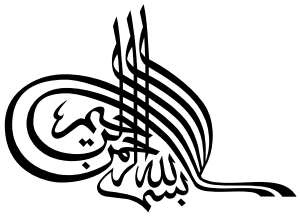

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

سورة الإسراء الآية ٩

ملخص بحث

موقف الإمام ابن عطية من الدخيل في تفسيره

إعداد

أ.د. محمد عبد الجليل حسن محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

عميد كلية البنات الأزهرية بأسوان

تّم بحمد الله تعالى في هذه الدراسة التعرف على موقف العلامة أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي من وجود الدخيل في تفسيره المسمى بـ: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ورصد آرائه المتعددة نحو تعامله مع هذا النوع من الروايات والأقوال حيث ظهر لنا كيف ردها هو بأسلوبه من جهة السند أم من جهة المتن أم من الجهتين معا، ورأينا أيضا أنه – رغم ذلك- وقع فيما فيه وقع فيه غيره من المفسرين من الاغترار ببعض الدخيل والسكوت عنه أو الرضا به أو الموافقة عليه وجعل له موضعا في كتابه المحرر وكذا رأينا في غالب المواقع من تفسيره أنه لا يرضى من التفسير إلا ما كان صحيحا دون مخالفة فيه لنص أو أصل من أصول الدين أو أساس من أسسه أو واقعة تاريخية تتعلق بأسباب النزول وغيرها مما جعلنا نطمئن قلبيا ونفسيا بهذا الصنيع الذي رسمه ابن عطية في تفسيره الأمر جعل كتابه في مقدمة التفاسير المعتبرة والمعتمدة والجديرة بالقراءة والاقتناء والنظر والاقتداء.

This study investigates the position of the mark of Abi Muhammad Abdul-Haq bin Attia al-Andalusi on the presence of the intruder in his interpretation of "the brief editor in the interpretation of the dear book" and the monitoring of his multiple views towards dealing with this type of narration and From the basis or historical fact related to the causes of descent and other factors made us reassure heart and soul of this work, which was painted by Ibn Attieh in his interpretation made his book in the forefront of interpretations considered and approved and worthy of reading and acquisition and consideration and follow From the basis or historical fact related to the causes of descent and other factors made us reassure heart and soul of this work, which was painted by Ibn Attieh in his interpretation made his book in the forefront of interpretations considered and approved and worthy of reading and acquisition and consideration and follow sayings, The hand of bond or mother of the Matn or mother of the two sides together, and we also saw that - though - signed in which signed by other interpreters of arrogance to some intruder and silence or satisfaction or approval and make him a place in his book as well as our opinion in most of the sites of His explanation is that he is not satisfied with the interpretation except what was correct without a violation of the text Or the origin of the assets of the debt or basis

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه، ونصلي ونسلّم على خير خلقه ومصطفاه، وحبيبه ومجتباه، سيّدنا ومولانا محمد النبيّ الأميّ العال القدر العظيم الجاه، صليّ عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلك طريقه واتبع خطاه، وسار على نهجه إلى يوم أن نلقاه، صلاة دائمة بدوام ملك الله.

وبعد

فإن دراسة الدخيل من ناحية رصده وتعيين مواطنه ونقده وتمحيصه لتعدّ من أهم الدراسات القرآنية في هذا العصر الذي ملأته الأهواء، وأحاطت به الأغراض النفسية، وشملته المقاصد الشخصية، التي تريد النيل من القرآن وتفسيره، حيث عمل أهل الكتاب منذ نزول القرآن على النبيّ العدنان ﷺ على هدمه وتشويش معانيه في أذهان المسلمين، وذلك بإدخال ما اشتهر من روايات وحكايات تتعلق بقصص الماضين من الأنبياء مع أقوامهم، وما يتصل أيضا بأمور تاريخية تحدث عنها القرآن الكريم في آياته وسوره وذكر من شأنها بعض المواقف التي اتسمت بالاختصار وعدم التطويل، فجاء علماء أهل الكتاب يبرزون ما عندهم من قصص وحكايات في نفس الشأن ويذكرون تفسيرات لها به بعض صلة بها، ولو من بعيد، حيث عمل المفسرون على نقل ما ورد عن أهل الكتاب من بيان وتفسير لتلك القصص وللأسف وضعوها في كتبهم وتفاسيرهم دون النظر في صحتها من عدمه وظنوا أنها تستحق أن تكون تفسيرا لكتاب الله تعالى فيما ورد من أخبار الأولين، وما كان في شأنهم من أمور مختلفة، سواء منها ما تعلق بالعقيدة أو غيرها من شئون الحياة المعتددة.

وكان هذا هو الغالب على عامة علماء التفسير، بل والمقدّمين منهم حيث انجرفوا في تيار الراويات الدخيلة من الإسرائيليات والأباطيل التي لا تستحق

حتى مجرد النظر إليها، فراحوا يذكرونها في كتبهم، ويشيدون بها ويصرحون بأنها تفسير لهذا النوع من القصص.

وهذه الحالة: لا تنطبق على الكل، بل إن البعض منهم كان حذرا في التعامل مع الدخيل من التفسير، وعلى معرفة تامة بكيفية رده، والتحذير منه حيث صرحوا ببطلانه وزيفه، وأعلنوا أنه لا يستحق النظر إليه، بل يجب مجّه من التفسير، ورده عنه، وأنه من الخطورة بمكان.

وقد استمرت هذه الجهود العلمية: في نقد الدخيل ورده من قِبَل أئمة التفسير وعلمائه منذ نشأته، وأيضا من جهة الباحثين في العصر الحديث وبخاصة بعد أن انتشرت أدوات الطباعة المختلفة، وذاع صيتها، واشتهر أمرها في كل مكان، وتم إخراج الكثير من المصادر والكتب المخطوطة إلى حيّز النشر والذيوع، وتناول الباحثون تلك الكتب بالدراسة والتحقيق، وعملوا على تفنيد رواياتها وفحصها وبيان حالها، وذلك من خلال تأليف المؤلفات وإعداد الأبحاث والرسائل العلمية في نقد الدخيل وبيان حاله من البطلان والزيف.

ومن أبرز التفاسير: التي ذكر فيها شئ غير قليل من الدخيل:" **تفسير ابن عطية**" المعروف بـ:" **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" للعلامة الكبير، والمفسر العَلَم: **أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسيّ** المتوفى سنة ٥٤٦هـ، والذي يعتبر تفسيره هذا من أهم التفاسير وأعظمها وأفضلها وأقومها، فهو ثروة علمية فائقة، وسفر عظيم في تفسير الكتاب، ويعد آية في بابه، وأصلا من أصول التفاسير في تصنيفه وتبويبه. وقد بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا يحسب له حيث أولاه عناية كبيرة تشهد له بالسبق والفضل.

ورغم ذلك: فقد ضمنه الكثير من الدخيل بإيراده بعضا من روايات الإسرائيليات والموضوعات التي تناقلها جمع غفير من أئمة التفسير وأصحاب الرواية، والتي كان لها دور كبير في ملء كتب التفسير بخرافات وخزعبلات لا تمت إلى التفسير الصحيح بصلة.

هذا: وقد عزمت أمري– منذ فترة طويلة– وتوكلت على ربي تبارك وتعالى، في اختيار تفسير ابن عطية لعمل بحث يتخصص في دراسة الدخيل فيه، من

خلال تحديد: موقف ابن عطية من الروايات الدخيلة والباطلة التي تناقلها الرواة طبقة عن طبقة، وسكنت كتب التفسير المختلفة على مر العصور والأيام، ومنها كتاب ابن عطية نفسه حتى يمكن للقارئ المسلم معرفة حال ابن عطية في تعامله مع الدخيل.

وقد هداني ربي تعالي إلى تسمية كتابي هذا باسم:

" موقف الإمام ابن عطية من الدخيل في تفسيره "

مؤكدا حرصي- في نفس الوقت- على تحديد موقفه بصورة كبيرة وواضحة في هذا الشأن، حتى يمكن ذكر ما له وما عليه، عملا على خدمة كتاب ربنا ﷻ وسنة نبيّنا المصطفي ﷺ.

الدافع لاختيار هذا الموضوع:

١- إن الناظر في تفسير:" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" للإمام الكبير، والمفسر الجهبذ، العلامة أبي محمد ابن عطية الأندلسيّ، ليجد فيه كثيرا من الأسباب التي تدعوه إلى التعرف على هذا الكتاب القيّم بصورة عميقة وبجهد متخصص في الاطلاع على ما حواه هذا التفسير من صنوف العلم وأبوابه، والتي تخدم التفسير، وتعين على بيان مراد الله تعالى على قدر الطاقة البشرية.

٢- بما أن العلامة أبي محمد ابن عطية كان أحسن حالا من غيره من أئمة التفسير في كثير من أحيانه، فيما يختص بالدخيل ورواياته، وكينونته في التفسير بصفة عامة، وفي كتابه:" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" بصفة خاصة، وجدت في نفسي الرغبة في تحديد موقف ابن عطية من روايات الدخيل التي ساقها هو في تفسيره، للوقوف على كيفية تعامله مع تلك الروايات المختلفة والمتعددة بصورة واضحة ومحددة.

٣- على الرغم من أن تفسير ابن عطية مطوّل، وأخذ كمّا هائلا من الصفحات في مجلدات عدة، إلا أن هذا لم يثنه عن التعرض لذكر الدخيل في مواضع مختلفة، جعلته محل نظر كثير من النقاد وأهل الرواية، فراحوا يفحصون ما

أورده ابن عطية من روايات، ومعرفة كنهها، لذا أردت أن أشارك في هذا العمل ولو بجهد المقل٠

منهجي في البحث:

قام منهجي في هذا البحث على الأسس الآتية:

١- عزو الآيات إلى سورها ببيان رقمها وموضعها من السورة، وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية٠

٢- شرح الغريب بما يفي بالغرض، ويعيّن المطلوب٠

٣- التعقيب بالتفسير الصحيح الموافق لظاهر الكتاب، والذي لا يتعارض مع نقل أو عقل٠

خطة البحث: اشتملت الخطة علي مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة٠

المقدمة: وفيها سبب اختياري لهذا الموضوع٠

التمهيد: في التعريف بالإمام ابن عطية ومولده ونشأته ومكانته بين المفسرين وآثاره العلمية ووفاته٠

المبحث الأول

في بيان معنى الدخيل وفيه مطلبان :

المطلب الأول: معنى الدخيل في اللغة والاصطلاح وبيان أنواعه٠

المطلب الثاني: معنى الأصيل لغة واصطلاحا٠

المبحث الثاني

موقف ابن عطية من الدخيل في تفسيره: وفيه مطالب:

المطلب الأول: حال ابن عطية مع الدخيل بصفة عامة، ونقله له في تفسيره٠

المطلب الثاني: نقده للدخيل ببيان حاله وبطلانه سندا٠

المطلب الثالث: نقده للدخيل ببيان حاله وبطلانه متنا٠

المطلب الرابع: إيراده الدخيل والسكوت عنه دون تعليق أو تعقيب٠

المطلب الخامس: موافقته غيره من المفسرين وأصحاب الرواية على بعض الدخيل ورضاه به٠

المطلب السادس: اقتصاره على الصحيح من الروايات والمقبول من الأقوال ٠
المطلب السابع: إعراضه عن وجود الدخيل في تفسيره ٠
المبحث الثامن: ذكره بعض الدخيل للتنبيه عليه وبيان حاله٠
الخاتمة: في نتائج هذا البحث وما اشتمل عليه من توصيات ٠

وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم٠

كتبه الدكتور
محمد عبد الجليل حسن محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
عميد كلية البنات الأزهرية بأسوان

تمهيد

في التعريف بالإمام ابن عطية

اسمه: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام ابن عبد الله بن عطية الأندلسيّ المغربيّ الغرناطيّ، صاحب التفسير الكبير، إمام كبير علاّمة فهامة، من أكابر شيوخ التفسير وأئمته[١] حدّث عن أبيه، وعن الحافظ أبي عليّ الغسانيّ، ومحمد ابن الفرج مولى ابن الطلاع، وعدة، وكان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية، قويّ المشاركة ، ذكيا، فطنا، مدركا من أوعية العلم[٢] حدّث عنه أولاده وأبو القاسم بن حبيش الحافظ، وأبو محمد ابن عبيد الله وأبو جعفر بن مضاء،، وأبو جعفر بن حكم وآخرون[٣].

مولده: ولد هذا العَلَم الفذ بالمريّة[٤] سنة ٤٨٠، وقيل: ٤٨١هـ[٥].

واعتنى به والده، ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقّد ذكاء، ولي قضاء المرّيّة في سنة ٥٢٩هـ[٦].

نشأته: نشأ العلامة أبو محمد عبد الحق بن عطية في بيت علم وفضل ومجد، وفي أحضان أسرة علمية مرموقة، لها مكانة عظيمة، وشأن كبير. فأبوه: غالب بن عبد الرءوف بن تمام بن عطية الإمام الحافظ المشهور له رحلات في طلب

---

(١) فهرست ابن عطية صـ٢- سير أعلام النبلاء للذهبيّ ٥٨٦،٥٨٧/١٩ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ط مؤسسة الرسالة بيروت- التاسعة – ١٤١٣هـ.

(٢) سير ٥٨٨/١٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مدينة كبيرة من أعمال الأندلس- معجم البلدان ١١٩/٥ .

(٥) طبقات المفسرين للسيوطيّ صـ٥٠- بغية الوعاة له أيضا ٧٢/٢- طبقات المفسرين للداوديّ ٢٦٥/١- ٢٦٧- الديباج المذهب ١٧٤ .

(٦) المصدر السابق.

العلم والأخذ عن كبار علماء وقته٠وجدّه عطية أنجب الكثيرين ممن لهم مكانة وقدرا٠

وعرف عن ابن عطية أيضا أنه: كان طموحا منذ بدايته حتى آخر عمره بدرجة كبيرة بلغت أقصى غايات الطموح عنده، وهذا ما صوّره الفتح ابن خاقان حيث قال:(سابق الأمجاد فاستولى على الأمد[١] بغلابه[٢] ولم يَنِضُّ[٣] ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد مجاهدا، حتى تناول الكواكب قاعدا، ولا سكن إلى راحات بكره وأصائله[٤])[٥] كما يصف ابن خاقان جده ونشاطه في سبيل طلب العلم فيقول:(سما إلى رتب الكهول صغيرا، وشنّ كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا، فسباها معنى وفضلا، وحواها فرعا وأصلا)[٦]٠

مكانته العلمية ومنزلته بين المفسرين:

ابن عطية – عبد الحق – رحمه الله تعالى– يعد آية في الفهم والذكاء والفطنة والدهاء، وله باع طويل في الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والأدب وغير ذلك، مما جعله يتبوأ مكانة سامية ومرتبة عالية بين المفسرين، استحق وصف صاحب قلائد العقيان له: بالبراعة في الأدب والنظم والنثر، وذكر نتفا من شعره ونثره[٧]٠وذكره الشيخ أبو حيان في مقدمة تفسيره بأنه: أجلّ من ألّف في علم التفسير، وأفضل من تعرّض فيه للتنقيح والتحرير)[٨]٠

---

(١) الأمَدُ: بفتحتين الغاية كالمدى– اللسان ومختار الصحاح مادة: "أمد"٠

(٢) الغِلاَب: بكسر الغين وفتح اللام: المغالبة– اللسان مادة:" غلب"٠

(٣) أي: يتحول– النهاية ٥/٧١– اللسان مادة:" نضض"٠

(٤) الأصائل هي:العشيّات– اللسان:"أصل"– يريد أن يعمل عملا واصلا فيه ليله بنهاره٠

(٥) قلائد العقيان في محاسن الأعيان صـ ٢٠٨ ٠

(٦) نفح الطيب ٢/٥٢٨ ٠

(٧) قلائد العقيان صـ ٢٢٠ ٠

(٨) مقدمة البحر المحيط ١/١١٢ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ط دار الكتب العلمية بيروت– الأولى– ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م٠

قال الشمس الذهبيّ:(كان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية قويّ المشاركة، ذكيا فطنا، مدركا، من أوعية العلم)[1].

آثاره:

لم تكن مؤلفات العلامة ابن عطية كثيرة من حيث الكم، إلا أنها ثمينة في الكيف، عظيمة في القدر، عالية في السموّ، وقد ترك لنا من أبرز كتبه ومؤلفاته العلمية الفائقة:

١- تفسيره الجليل المسمى بـ:" **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" والذي يعد آية في بابه.

٢- كتابه:" **الفهرست** " الذي ذكر فيه شيوخه ومعلّميه، وقد كتبه سنة ٥٣٣هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم٢٦٤٩١ ب- وقد تم طبعه أخيرا والحمد لله رب العالمين.

وفاته: في ليلة الخامس عشر من رمضان سنة اثنتين، وقيل: إحدى، وقيل: ست وأربعين وخمسمائة، توفي الإمام الجليل ابن عطية بـ:"لُوْرَقَة"[2]عليه هواطل رحمة الغفور المنان، الرحيم الوهاب[3]. وقال السيوطيّ: (توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة)[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٨٨/١٩ .

(٢) لُوْرَقَة:- بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف، ويقال:" لُرْقة "- بسكون الراء بغير الواو، وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمر- معجم البلدان ٢٥/٥ .

(٣) سير ٥٨٨/١٩ .

(٤) طبقات المفسرين صـ ١٧٦ .

المبحث الأول

معنى الدخيل في اللغة والاصطلاح وأنواعه وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدخيل:

ينقسم الدخيل في كتب التفسير – إلى قسمين:

الأول: دخيل النقل، ويشمل: الإسرائيليات من الروايات الواردة والأحاديث الضعيفة والموضوعة، والآثار الهالكة.

الثاني: دخيل الرأي، ويشمل الأقوال الفاسدة في التفسير والآراء الباطلة مثل: أقوال الباطنية، والشيعة، والمرجئة، والخوارج، وغيرهم من الفرق الباطلة.

الدخيل في اللغة:

يأتي الدخيل في المقابل ضد الأصيل، ويطلق على كل شئ دخل في شئ ليس منه، مأخوذ من الدَّخَل– بتحريك الدال والحاء– بمعنى: العيب والفساد والغش، يقال للرجل يدخل في القوم وليس منهم: فلان دخيل في بني فلان ويقال: كناية عن فساد في الأصل، وخلل في العقل: دخل فلان فهو مدخول ويقال: هذا الأمر فيه دخَل ودَغَل، وهما بمعني قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾[1] يعني: دغلا ومكرا وخديعة، وكل ما تخلّله عيب أو فساد فهو مدخول، وفيه دَخَل ودَغَل.ويقال للكلمة الداخلة على اللغة العربية من لغة أخري: دخيلة في العربية، أي: ليست منها بل هي وافدة إليها من الخارج أي: من خارج لغتها، والدَّخْل– بتسكين الخاء– هو: الداء الداخل في أعماق البدن– كذا أفاده أهل اللغة[2].

---

(١) سورة النحل الآية ٩٢ .

(٢) انظر مادة: " دخل" في القاموس المحيط باب اللام فصل الدال، وفي اللسان ومختار الصحاح والمصباح المنير والمعجمين:الوسيط والوجيز –وانظر:المفردات في غريب القرآن للراغب صـ ١٦٦– الغريب للخطابيّ ٤٣٦/٢ – النهاية ١٠٨/٢ ..

ويقول العلامة الأزهريّ:(الدَّخِيل: عيب في الحسب، وكذلك الدَّخَل وأمر فيه دخَّل ودخْل مثقل ومخفف، ودخل، بمعناه، وفي قوله تبارك وتعالي: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾يعني: دخلا وخديعة – وقال: وكل ما دخله عيب قيل: هو مدخول وفيه دخل)[1] والدخل: طائر، سمي به لدخوله فيما بين الأشجار الملتفة[2].

ويقول الدكتور عبد الوهاب فايد:(الدخيل في اللغة: هو الذي تسلّل من الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه، ويستعمل في الأشخاص والألفاظ والمعاني، وما أشبه ذلك)[3].

مما سبق ذكره يتبين لنا: أن المراد من المعنى الذي يدور حول كلمة:"**الدخيل**"عند عامة أهل اللغة هو: العيب الداخليّ الذي طرأ على غيره، أو اختلط به، سواء كان هذا العيب والفساد من حيث الغرابة وتغيير صورة القصة، أو مكوّنات الجملة كإدخال المختلف بين المؤتلف، مثل الكلمة غير العربية تتداخل وتندمج في ثنايا العربية، أو انتساب رجل إلي قوم ليس منهم بل دخيل عليهم وكدخول الفرع في الباب٠الخ، أو كان الفساد والعيب آية حيثية أخري: كالغش والمكر والخديعة والداء، وغير ذلك[4].

الدخيل في اصطلاح علماء التفسير:

هو التفسير الذي لا أصل له في الدين، على معنى أنه تسلّل إلي كتب التفسير على حين غرة، وفي غفلة من الزمن، بفعل مؤثرات معيّنة، بعد وفاة النبيّ ﷺ أو

(١) تهذيب اللغة ٢٧١/٧ ٠
(٢) المفردات صـ ١٦٦ ٠
(٣) الدخيل في تفسير القرآن الكريم أ٠د٠عبد الوهاب فايد ١٣/١ط حسان بالقاهرة– الأولى– ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م٠
(٤) انظر: القاموس المحيط باب اللام فصل الدال٠

هو: ما ينقل من التفسير ولم يثبت نقله، أو ثبت ولكن على خلاف المقبول، أو كان من قبيل الرأي الفاسد(١) و:" **أو**" هنا في هذا التعريف– كما يقول الدكتور إبراهيم خليفة–:(للتنويع لا للشك بمعنى: أن دخيل التفسير في الجملة نوعان: أحدهما: دخيل في المنقول٠والآخر: دخيل في الرأي)(٢)٠

وعليه نقول بأن: كل تفسير خالف المنقول عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين وخالف المعقول، أو تصادم مع أصل من أصول الدين، أو ناحية تاريخية مؤكدة، فهو دخيل لا ينظر إليه، ولا يُعبأ به، بل يطرح جانبا، وينّبه على بطلانه ويحذّر المسلمون من النظر إليه، أو قربانه ولو للحظة٠

أنواع الدخيل:

١– الأحاديث الضعيفة والواهية، والتي عمد مروّجوها إلى حشد كتب التفسير بها، وكذا الآثار الموقوفة على بعض الصحابة، والتي تهالكت أسانيدها، أو جاءت من طرق ضعيفة٠

٢– الإسرائيليات والأباطيل من الروايات المأثورة التي تسلّلت إلى كتب التفسير ودخلتها عن طريق أعداء الدين والناقمين عليه٠

٣– كل ما خلف أصول التفسير وقواعده وأبعد الآية عن ظاهرها، أو ما يتناسب مع مقصودها فهو دخيل٠

٤– محاولة تطويع آيات القرآن الكريم لهوىً في النفوس، ودعوى لتأييد مذهب معين، أو رأي خاص مثل تفاسير: الشيعة، والخوارج، والقدرية والمرجئة، وبعض غلات المعتزلة وغير ذلك(٣)٠

---

(١) الدخيل في تفسير القرآن الكريم أ٠د ٠عبد الوهاب فايد١٤/١– الدخيل في التفسيرأ٠د٠ إبراهيم عبد الرحمن خليفة صـ ١٤ ٠

(٢) الدخيل في التفسيرأ٠د٠ إبراهيم خليفة صـ١٤ ٠

(٣) فتح الجليل في تفنيد الدخيل للمؤلف صـ١٣– ١٥ط المطبعة الدولية بأسوان– الأولى– ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م بتصرف٠

المطلب الثاني:
معنى الأصيل لغة واصطلاحا

الأصيل في اللغة: ضد الدخيل، يقال رجل أصيل: له أصل، ورأي أصيل له أصل، ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل[١] وأصل الشئ أسفله، وأساس الحائط: أصله واستأصل الشئ: ثبت أصله وقوي، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شئ: ما يستند وجود ذلك الشئ إليه، فالأب أصل الولد، والجمع أصول، وأُصُل النَسب – بالضم– أصله شرفه، وهو أصيل: مثل كريم[٢].

الأصيل اصطلاحا: هو التفسير الذي له أصل في الدين، أو بتعبير آخر: هو التفسير الذي يستمدّ روحه ومقوّماته من كتاب الله تعالي، أو من سنة رسول الله ﷺ أو من أقوال الصحابة والتابعين[٣].وهذا التعريف على رغم حسنه ووجاهته لم يشتمل على جميع أنواع الأصيل، فقد احتوى على نوعين فقط من أنواعه وهما: الأصيل، والثابت ولم يذكر النوع الثالث وهو: أصيل الرأي، لأن هذا النوع الأخير يأتي في المرتبة الثالثة لأنواع الأصيل، ولا يمكن الاستغناء عنه سيرا مع الواقع.

وأذكر هنا أيضا تعريفا جامعا وهو: ما نقل من التفسير مستندا إلى سيّدنا رسول الله ﷺ أو الصالح للحجيّة من أقوال الصحابة أو التابعين، أو كان من قبيل الرأي السليم بعد تحصيل العلوم، وتوفير الملكات اللازمة للاجتهاد[٤].

---

(١) لسان العرب مادة:"أصل".
(٢) انظر: المصباح المنير:" أصل "– وانظر:نفس المادة في المعجمين: الوسيط والوجيز.
(٣) الدخيل في تفسير القرآن الكريم أ.د. عبد الوهاب فايد صـ١٤،١٣ ..
(٤) الدخيل في تفسير الخازن رسالة دكتوراه للدكتور: أحمد سو يلم..

المبحث الثاني

موقف ابن عطية من الدخيل في تفسيره: وفيه مطالب:

من الضرورة بمكانّ أن نقف على أمور متعلقة بصميم بحثنا هذا، فيما يختص برصد المواقع التي تعرّض لها أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسيّ في تفسيره، بذكر الدخيل من الروايات الإسرائيلية، والأخبار الباطلة، التي تناقلها الرواة، وسجلها أهل التفسير في كتبهم، وأخذت مساحات كبيرة في مصادرهم بصورة مزعجة، ورؤية مخيفة٠

والغرض من معرفة تلك الأمور هو: الوقوف على حالة ابن عطية في هذه الحيثيات المتعلقة بالدخيل، وعلى أيّ جهة كان تعامله معه، وبأيّ طريقة كان متجهه فيه، حتى يتضح السبيل أمامنا، دون أن يكون هناك غموض أو خفاء٠

وهذا الصنيع يعتبر من أهم خطوات البحث، ومن أبرز سماته، لأن غرض الباحث في هذا الشأن هو الكشف عن المواقع التفسيرية التي تضمنت ذكر الدخيل من ضعيف الروايات، وهالك القصص الإسرائيلية التي طغت على التفسير، وأظلمت عليه، وجعلته محل نظر وفحص في كل جزئية ذكرت تفسيرا لنص كريم٠

ولا شك أن هذا الأمر البالغ الأهمية، يحتاج إلى فطنة وذكاء، وإلى خبرة ونماء في الفكر والثقافة، وعمق في البحث، وكثرة مطالعة في كثير من المصادر المتخصصة في هذا الشأن، مع بعد غاية في تعيين المراد والوصول إلى المقصود، وسيظهر ذلك بجلاء فيما يأتي من مباحث متنوعة في هذا الفصل – إن شاء الله تعالى–٠

المطلب الأول:

حال ابن عطية مع الدخيل بصفة عامة، ونقله له في تفسيره

يعد ابن عطية من أئمة التفسير الذين تعاملوا مع الدخيل بطريقة فريدة، والتي إن دلّت فإنما تدل على بالغ حيطته، وكبير حذره منه، وأنه ما أراد ذكره وما رغب في نقله – غالبا– إلا من أجل بيانه، والتنبيه على خطورته، حتى يجتنبه الناس، ويكونوا في مأمن من عواقبه.

وأن ابن عطية: كان نقّادا للدخيل بأنواعه، فاضحا لأمره، معلنا عن ضعفه وهلاكه، وقد بان لنا هذا من خلال طريقته في عرض الدخيل من الروايات الإسرائيلية والباطلة، بصيغة:"**روي**" وهي تعني التمريض للرواية والتأكيد على عدم الثقة بها، وأنه ساقها لمجرد الحكاية فقط.

يقول الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبيّ– رحمه الله تعالى–:(وبحق هو: تفسير محرر من أقاصيص مشوهة إسرائيلية، كانت دارجة لحد ذاك الحين، فهو من خير التفاسير بالمأثور، وقد طبع أخيرا، وخرجت منه مجلدات لحد الآن)[1].

ويقول أستاذنا الدكتور عبد الوهاب فايد– رحمه الله تعالى–:(لقد قلّل ابن عطية في تفسيره من ذكر الروايات الإسرائيلية، ونعى على المفسرين إكثارهم منها، وقد كان ابن عطية ذا ملكة نقدية، ومن أجل ذلك تناول في تفسيره كثيرا من هذه الروايات بالنقد والتمحيص.

وأول شئ نجده من ذلك أن ابن عطية ينصّ قي مقدمة تفسيره على أنه لا يذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به[2] ومعنى ذلك أن ابن عطية كان يرى أن الضرورة لا بد أن تقدّر بقدرها، ومن هنا فسوف لا يذكر في تفسيره من هذا القصص الإسرائيليّ إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال في آيات القرآن

(١) التفسير والمفسرون ١/٢٤١,٢٤٠ .
(٢) مقدمتان في علوم القرآن صـ ٢٥٥ .

الكريم، وهذا يدلنا على أن ابن عطية كان يدرك ما في إيراد هذه الإسرائيليات على علاتها من مآخذ ومساوئ، وما في هذه الإسرائيليات نفسها من غلوّ، ومبالغات، وأباطيل، وترهات، لا تصح في نظر العقل، ولا يؤيدها أثر صحيح، كما أنه كان يدرك أن شحن كتب التفسير بمثل هذه الإسرائيليات، فضلا عن أنه لا فائدة ترجى من وراء ذلك، يعتبر تزيّدا في شئون لم تكن من أهداف القرآن الكريم، حيث اقتضت حكمة التنزيل إيراد القصص بالأسلوب الذي ورد به، فيجب الوقوف عند ذلك.

وأيضا: كان يدرك ابن عطية أن وجود هذه الروايات الإسرائيلية وتدوينها في كتب التفسير يشوّش أعظم تشويش على عقول قارئي هذه الكتب، ويشوّش كذلك على أهداف القرآن الكريم.

من أجل ذلك كله: التزم ابن عطية من أول وهلة في تفسيره أنه لن يذكر من القصص الإسرائيليّ إلا ما لا ينفك معنى الآية إلا به، وتطبيقا لهذا المنهج الذي وضعه ابن عطية لنفسه في مقدمة تفسيره، نجد ابن عطية في مواطن كثيرة من تفسيره يختصر الروايات الإسرائيلية التي أكثر المفسرون منها، وينقد هذه الروايات بأنها ليّنة الأسانيد، وقليلة الثبوت، وأنه لا يصح شئ منها)[1].

وقال الدكتور عبد الوهاب فايد :(إن ابن عطية في تفسيره – على وجه العموم – قد اتخذ لنفسه منهجا علميّا دقيقا بالنسبة للروايات الإسرائيلية، ومن هنا يرتقي ابن عطية إلى مصافّ المفسرين الذين احتاطوا في الأخذ بالإسرائيليات وقاموا بمحاولات جدية ومشكورة لتصفية التفسير من هذا الهشيم الإسرائيليّ المركوم، الذي يشوّه كتاب الله تعالى[2] ويصوّر الإسلام في صورة خرافية لا تتفق مع جمال الإسلام، وسموّ مبادئه وأهدافه)[3].

---

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم صـ١٨٢،١٨١ .

(٢) يريد: تفسير كتاب الله تعالى، لا الكتاب نفسه لأنه محفوظ من قِبَل من أنزله ﷻ .

(٣) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم صـ ١٨٥ .

ولعل ما كان عليه العلامة ابن عطية من حال مع الدخيل من الروايات الإسرائيلية والباطلة هو الذي جعل العلامة ابن خلدون – رحمه الله تعالى – يقول عقب الحديث عن دخول الإسرائيليات في كتب التفسير:(فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلها– يعني تفاسير المنقول – وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى)[(١)].

الأمثلة والنماذج

١ – **قصة هاروت وماروت:** وتفسير قوله تبارك وتعالى:﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[(٢)] نرى الإمام ابن عطية يورد شيئا قليلا مما قاله المفسرون في تفسير قصة هاروت وماروت، ويشير إلى ضعفه وبعده عن الصحة، فيقول:(وروى من قال: إنهما ملَكان، أن الملائكة مقتت حُكَّام بني إسرائيل وزعمت أنها لو كانت بمثابتهم من البعد عن الله لأطاعت حق الطاعة، فقال الله لهم: اختاروا ملَكين يحكمان بين الناس، فاختاروا هاروت وماروت، فكانا يحكمان، فاختصمت إليهما امرأة ففتنا بها فراوداها، فأبت حتى يشربا الخمر ويقتلا ففعلا، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء فعلّماها إياه فتكلَّمت به فعرجت، فمسخت كوكباً فهي الزُّهرة، وكان ابن عمر يلعنها)[(٣)].

قال ابن عطية معقّبا على تلك الرواية ورادّا لها:(وهذا كله ضعيف وبعيد على ابن عمر– رضي الله عنهما–)[(٤)].

ثم يقول أبو محمد:(وروي أن الزُّهرة نزلت إليهما في صورة امرأة من فارس فجرى لهما ما ذكر، فأطلع الله ﷻ الملائكة على ما كان من هاروت

(١) مقدمة ابن خلدون ٩٨٨/٣ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .
(٣) المحرر الوجيز ١٨٧/١ .
(٤) المصدر السابق.

وماروت فتعجبوا، وبقيا في الأرض لأنهما خُيِّرا بين عذاب الآخرة وعذاب الدنيا، فاختارا عذاب الدنيا، فهما في سرب من الأرض مُعَلّقين يصفقان بأجنحتهما، وروت طائفة أنهما يعلمان السحر في موضعهما ذلك وأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا له: ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾)[1].

وبعدها يقول ابن عطية تعقيبا على ما تقدم هنا:(وهذا القصص يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض، ولا يقطع منه بشئ، فلذلك اختصرته)[2].

ففي هذا المثال: نرى ابن عطية يحكم على هذه الروايات بالرد والبطلان من جهات عدة: **الأولى:** كثرة الروايات الواردة في هذا الشأن، وتضاربها فيما بينها حيث إن ما ورد في بعضها يخالف ما جاء في غيرها، كما أن ما نطقت به الرواية الأولى في تحديد ماهية الملَكين والأمر الذي من أجله أهبطا إلى الأرض، غير الذي بيّنته الرواية الأخرى، فلذلك حملت في طيّاتها دليل بطلانها وبعدها عن دائرة الصحة والصواب. كذلك بيّنت تلك الرواية وما ماثلها أن الملائكة قد حدث منهم أكثر من معصية وكبيرة من الكبائر مثل: شرب الخمر، والزنا وغير ذلك، مع أن هذا باطل ومردود،لأنه يخالف ما هو معروف من حال الملائكة من ديمومتهم على الطاعة المطلقة ولا يمكن بحال أن تتأتي منهم معصية أبدا، لأنهم خُلِقوا للطاعة والعبادة التي لا تشوبها معصية ولا يتطرق إليها شئ يخدشها، حيث إنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، وهم كما قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [3] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَآبَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [4].

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة التحريم الآية ٦ .
(٤) سورة النحل الآية ٤٩،٥٠ .

الثانية: استبعاد ابن عطية نسبة ما روي عن ابن عمر من لعنه الزُّهرة، أو المرأة التي مسخت فكانت الزُّهرة، حيث لم يقم دليل واحد صحيح على صحة ما نسب إليه من ناحية، وصحة ما قيل في سبب وجود كوكب الزُّهرة من ناحية أخرى، مع المعروف أن وجود الكواكب بمسمياتها كانت منذ الأزل، دون أن يذكر في مصدر صحيح أن من بينها كوكب:"الزُّهرة" كان من أجل مسخ المرأة كما ورد٠

نقل ابن حبان في صحيحه عن أبي حاتم قوله:(قال أبو حاتم: الزُّهرة هذه امرأة كانت في ذلك الزمان، لا أنها الزُّهرة التي هي في السماء التي هي من الخنس)[(١)]٠

وقال الإمام القرطبيّ:(قلنا هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصح منه شئ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه إلى رسله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [(٢)] ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [(٣)] ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [(٤)] إن الملائكة عباد مكرمون، وأن الكواكب خلقت قبل الإنسان، وكوكب الزُّهرة منها)[(٥)]٠

الثالثة: الطابع العام الذي سيطر على سياق القصة في مجيئها مرتدية ثوبا مهلهلا، وذات طابع في أسلوب لا يتفق أبدا مع صحيح القصص، وما عرف عنها من رونق وبهاء٠

وذلك يظهر بوضوح في اضطراب الروايات في ألفاظها وعباراتها فيما يتعلّق بكوكب الزُّهرة، لأن بعض الروايات قالت: إن الزُّهرة هي التي أهبطت إلى

(١) صحيح ابن حبان ٦٤/١٤ ٠
(٢) سورة التحريم الآية ٦ ٠
(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٦، ٢٧ ٠
(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٠ ٠
(٥) تفسير القرطبيّ ٥٢/٢ ٠

الأرض وتحولت إلى امرأة٠وبعضها يقول: بل هي امرأة حقيقية اسمها:"**بيذخت** " وقعا عليها ثم أصعدت على السماء فصارت كوكب الزُّهرة٠

كذلك يوجد اضطراب شديد فيما ورد بشأن الطفل الذي قتلاه: حيث إن بعض الروايات تقول: إنه طفل كان معها، وبعضها يذكر أن رجلا رآهم متلبسين بها في حال الزنا، وغير ذلك من وجوه التعارض التي تدل دلالة واضحة على هلاك القصة ودحضها وبطلانها٠

يقول الدكتور محمد محمد أبو شهبة:(وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج بن الجوزيّ(١) ونصّ الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملَكان يعذبان على خطيئتهما فهو كافر بالله العظيم)(٢)٠

ويؤيد ذلك ما قاله الإمام سعيد بن منصور بعد إيراده نحو هذه القصة في سننه قال:(سنده ضعيف)(٣)٠

الرابعة: خلو تلك القصة من أدلة نقلية، وشواهد صحيحة تشهد لها وأنها لو كانت صحيحة أو قريبة من الصحيح، لرواها أو أشار إليها- على الأقل- أهل الصحاح، وأصحاب الكتب المعتمدة٠

الخامسة: ما عرف عن ابن عطية من أنه كان ذا حس مرهف وذوق عال في تعيين السقيم من الروايات الواردة في تفسير القصص، وما اشتهر به من خبرة كبيرة في هذا الشأن٠

والحق: أن الذي ذهب إليه ابن عطية هو الصحيح، وعليه أئمة العلم ومفسروا الأمة٠

قال الإمام القاضي عياض:(اعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرد منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئا يؤخذ بقياس

(١) انظر: اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٨٢/١ ٠
(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ١٦٢، ١٦٣ ٠
(٣) سنن سعيد بن منصور ٥٨٢/٢ ٠

والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصّه الله أوّل الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه)[١].

وقال أبو الفضل أيضا:(وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نُحبّر[٢] في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله: فاختلف أولا في هاروت وماروت، هل هما ملَكان أو إنسيّان، وهل هما المراد بالملَكين أم لا؟ وهل القراءة:"**ملَكين**"أو:"**ملِكين**" ؟وهل ما في قوله:﴿**وَمَا أُنزِلَ**﴾[٣]﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ**﴾[٤]نافية أو موجبة؟ فأكثر المفسرين: أن الله تعالى امتحن الناس بالمَلَكَين لتعلّم السحر وتبيينه، وأن عَمَلَه كفر، فمن تعلّمه كفر ومن تركه آمن، قال الله تعالى:﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ**﴾وتعليمهما الناس له تعليم إنذار، أي: يقولان لمن جاء يطلب تعلّمه: لا تفعلوا كذا فإنه يفرّق بين المرء وزوجه، ولا تتخيّلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا، فعلى هذا: فعل الملَكين طاعة، وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية، وهي لغيرهما فتنة...)[٥].

وقد استبعد جمع غفير من المفسرين والأئمة – إضافة إلى من تقدم ذكرهم– هذه القصة الزائفة منهم:

العلامة الإمام محمد بن عمر فخر الدين الرازيّ[٦]وأبو حيّان الأندلسيّ في بحره المحيط[٧] وسطرا في كتابيهما ما يدحض هذه القصة.

---

(١) المصدر السابق ١٠٩/٢ .

(٢) من التحبير وهو: التحسين– الفائق للزمخشريّ ١٢٣/٢– وقال في اللسان: مادة: "حبر":"حَبَّرْتُ الشِّعْر والكلامَ حَسَّنْتُه".

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٥) الشفا ١٠٩،١١٠/٢ بتصرف واختصار .

(٦)تفسير الفخر الرازي٦٢٩/٣وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي– بيروت– الثانية– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٧) البحر المحيط ٤٩٤/١، ٤٩٥ .

وكذا نص علي ذلك: القاضي ابن العربيّ في أحكام القرآن(١) وجمال الدين القاسميّ في المحاسن(٢) والألوسيّ في الروح(٣).

والخلاصة: أن هذه القصة المطوّلة يظهر فيها بوضوح الطابع الإسرائيليّ، حيث اشتملت على تفصيلات لا دليل عليها، كما أنها نسبت إلى نبيّ الله تعالى سليمان عليه السلام ما هو منه براء، مثل تسلط الشيطان على ملكه ونحو ذلك، كما أن الرواية هذه في سندها محمد بن السائب الكلبيّ، وكفي بوجوده في القصة ضعفا٠

والتفسير الصحيح للقصة: هو ما قاله جمهور المفسرين: من أنهما ملَكان على الحقيقة أنزلهما الله تعالى ليعلّما الناس السحر ابتلاء لهم، ليكشفا مزاعم السحرة الذين كانوا يدّعون النبوة كذبا، ويسخّرون العامة لهم ويخرجونهم إلى عبادة غير الله تعالى(٤).

٢- في قصة بناء الكعبة: وتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥).

قالَ ابن عطيَة:(واختلف بعض رواة القصص فقيل: إن آدم أمر ببنائه فبناه، ثم دثر ودرس حتى دلّ عليه إبراهيم، فرفع قواعده، وقيل: إن آدم هبط به من الجنة٠وقيل: إنه لما استوحش في الأرض حين نقص طوله وفقد أصوات الملائكة أهبط إليه، وهو كالدرة٠وقيل: كالياقوتة٠وقيل: إن البيت كان ربوة حمراء٠وقيل:بيضاء، ومن تحته دحيت الأرض، وإن إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر الله ورفع قواعده)(٦).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٧- ٣٠ ٠
(٢) محاسن التأويل ٢/٢٠٩، ٢١٠ ٠
(٣) روح المعاني١/٣٤١،٣٤٠ ٠
(٤) التفسير الوسيط ١/٢٢٨ ٠
(٥) سورة البقرة الآية ١٢٧ – ١٢٩ ٠
(٦) المحرر الوجيز ١/٢١٠ ٠

ثم قال أبو محمد:(والذي يصحّ من هذا كله:أن الله أمر إبراهيم برفع قواعد البيت، وجائز قدمه، وجائز أن يكون ذلك ابتداء، ولا يرجّح شئ من ذلك إلا بسند يقطع العذر، وقال عبيد بن عمير: رفعها إبراهيم وإسماعيل معا وقال ابن عباس: رفعها إبراهيم وإسماعيل يناوله الحجارة، وقال عليّ بن أبي طالب: رفعها إبراهيم وإسماعيل طفل صغير.

قال القاضي أبو محمد: ولا يصح هذا عن عليّ ﷺ لأن الآية والآثار ترده)[1].

هكذا: ردّ ابن عطية ما ورد في تفسير هذه القصة، لأنها جاءت من طريق إسرائيلية لا تقوم بها حجة، وأعلن أبو محمد أنها لا تصلح لأن تكون تفسيرا للآية.

قال العلامة ابن كثير:(وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة فقيل: الملائكة قبل آدم، روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن عليّ بن الحسين.ذكره القرطبيّ[2] وحكى لفظه، وفيه غرابة.وقيل: آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء، وطور سيناء، وطور زيتا، وجبل لبنان والجوديّ[3] وهذا غريب أيضا، وروي عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة وعن وهب بن منبه أن أول من بناه شيث عليه السلام[4].

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير القرطبيّ ١٢٠/٢ .
(٣) مصنف عبد الرزاق ٩٢/٥- ولم أقف عليه في تفسيره- وأخرجه الطبريّ في تفسيره ٥٤٦،٥٤٧/١ من طريق عبد الرزاق.
(٤) انظر: تفسير أبي السعود ١٦٠/١ .

وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صحّ حديث في ذلك فعلى الرأس والعين)[1].

وقد في ورد في الصحيح بشأن البيت الحرام: ما رواه البخاريّ عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أيّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه"[2].

وفي رواية أخرى: قال: قلت: يا رسول الله أيّ مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟قال: أربعون، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصلّ، والأرض لك مسجد"[3].

التفسير الصحيح للآية

يخبر الله تعالى عن عبديه ونبييّه إبراهيم ونجله إسماعيل – عليهما السلام – عن رفعهما لقواعد البيت وبنائه وتشييده، تنفيذا لأمره ﷻ في قوله:"**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**"[4] وابتهالهما إلى ربهما وهما يقومان بهذا العمل الجليل أن يتقبّل الله تعالى منهما أقوالهما وأعمالهما إنه سبحانه هو السميع العليم، أي: السميع لمن يدعوه ويتضرع إليه ويرجو رحمته وعفوه، العليم بحالهما وأنهما ابتغيا وجهه سبحانه.

قال أبو السعود:(" **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ":عطف على ما قبله من قوله ﷻ وإذ قال إبراهيم على أحد الطريقين المذكورين في:"**وَإِذْ جَعَلْنَا** "

---

(١) تفسير ابن كثير ١/١٧٣،١٧٤ .

(٢)صحيح البخاريّ كتاب التفسير باب "يزفون النسلان في المشي"حديث٣١٨٦جـ٣ صـ١٢٣١ .

(٣) البخاريّ كتاب التفسير باب" قول الله تعالى:" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"حديث جـ٣ صـ١٢٦٠ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٥ .

وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية:لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة، والقواعد: جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من القعود، بمعنى الثبات، ولعله مجاز من مقابل القيام، ومنه قِعْدَك الله[1]ورفعها البناء عليها لأنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، والمرتفع حقيقة، وإن كان هو الذي بنى عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا، فكأنها نمت وارتفعت٠وقيل المراد بها سافات[2] البناء فإن كل ساف قاعدة لما يبنى عليها، وبرفعها بناء بعضها على بعض، وقيل: المراد برفعها: رفع مكانة البيت وإظهار شرفه، ودعاء الناس إلى حجّه٠

وفي إبهامها أولا ثم تبيينها: من تفخيم شأنها مالا يخفى)[3]٠

ويقول أستاذنا الدكتور محمد سيد طنطاوي:(وختما دعائهما بذكر اسمين من أسمائه الحسنى ليؤكدا أن رجاءهما في استجابة دعائهما وثيق وأن ما عملاه لابتغاء مرضاته جدير بالقبول، لأن من كان سميعا عليما بنيّات الداعين وصدق ضمائرهم، كان تفضله باستجابة دعاء المخلصين في طاعته غير بعيد)[4]٠

---

(١) قال في اللسان مادة:" قعد": "ومعنى قَعِيدَكِ من قولهم: قِعْدَكَ اللَّه إلاَّ فَعَلْتَ، يُرِيدُون: نَشَدْتُك اللَّه إلا فَعَلْتَ"- وانظر: الفائق ٢٦٩/٣ ٠

(٢) قال ابن منظور في المصدر السابق مادة:" سوف":"الساف في البناء: كلُّ صَفَ من اللَّبِن، يقال: سافٌ من البناء سافانِ وثلاثة آسُف وهي السوف٠وقال الليث: السافُ ما بين سافات البناء أَلفه واو في الأَصل، وقال غيره: كل سَطْر من اللَّبِن والطين في الجدارِ سافٌ ومِدْماكٌ٠الجوهري: السافُ: كلُّ عَرَقٍ من الحائط "أ٠هـ٠

(٣) تفسير أبي السعود ١٥٩/١ ٠

(٤) التفسير الوسيط ٢٧٢/١ ٠

المطلب الثاني

نقده للدخيل بذكر حاله وبطلانه سندا

من أعظم مهام المفسّر لكتاب الله تعالى أن يعرف كيف يتعامل مع الدخيل من الإسرائيليات والموضوعات الواردة في التفسير، بحيث يقف على نكارته من خلال معرفته للسند والمتن معا، أو أنه يرى- بثاقب نظره- أن وجه الدخالة يأتي من هاتين الناحيتين معا، أو من أحدهما فقط، ثم يبني حكمه على الرواية المذكورة بالدخالة من هذه الحيثية، وإلا ما كان له أن يرد رواية لمجرد الرأي فقط، بل لابد وأن تكون له معطياته التي تؤهله للرد، وأن تتوفر له أدلته وبراهينه للقيام بتلك المهمة الصعبة والعظيمة في نفس الوقت.

والإمام الكبير ابن عطية- رحمه الله- كان ذا باع طويل في نقد الروايات الدخيلة، ورصد الإسرائيليات من أول وهلة، حيث عرف مصدرها ومن أين أتت.

وبالنظر: في حال ابن عطية وتعامله مع الدخيل في تفسيره من هذه الناحية، رأيت أنه قد وضع لنفسه منهجا فريدا في الحكم علي الروايات بالدخالة والرد من جهتين:

الأولى: ضعف السند الوارد في الرواية، أو عدم ثبوته أصلا، وهو ما أهّل ابن عطية للحكم على الرواية وإعلان بطلانها، وأنها لا تصح بحال بل إنها لا تستحق مجرد النظر إليها.

الثانيـة: نكارة المتن، أو ركة لفظه، أو ضعفه من جهات عدة، من أبرزها: معارضته لحكم ثابت، أو مخالفته لنص من النصوص الشرعية، أو واقعة تاريخية، أو أن هناك من الأقوال والتفسيرات ما هو أولى بالأخذ به أو تقديمه على غيره.

النماذج والأمثلة

١- قصة التابوت: وتفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

يذكر الإمام ابن عطية- رحمه الله- اختلاف المتأولين في كيفية إتيان التابوت، وكيف كان بدء أمره، فيقول:

(قال وهب بن منبّه: إنه لما قال الملأ من بني إسرائيل لسمويل بن بالي ما قالوا، سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً ويدله عليه، فقال الله تعالى له: انظر إلى القرن الذي فيه الدهن في بيتك، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن رأسه منه وملِّكه عليهم قال: وكان طالوت رجلاً دباغاً، وكان من سبط بنيامين بن يعقوب وكان سبطاً لا نبوة فيه ولا مُلْك، فخرج طالوت في ابتغاء دابة له أضلها، فقصد سمويل عسى أن يدعو له في أمر الدابة أو يجد عنده فرجاً، فنش الدهن.

قال القاضي أبو محمد عبد الحقﷺ: وهو دهن القدس فيما يزعمون قال: فقام إليه سمويل فأخذه ودهن منه رأس طالوت، وقال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله بتقديمه، ثم قال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (٢) ...الخ)(٣).

ثم قال ابن عطية:(واختلف المفسرون في كيفية إتيان:" التابوت " وكيف كان بدء أمره، فقال وهب بن منبّه: كان التابوت عند بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت، وصار التابوت عند القوم الذين غلبوا، فوضعوه في كنيسة لهم فيها أصنام، فكانت الأصنام تصبح منكسة،

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٨ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .
(٣) المحرر الوجيز ٣٣١/١ .

فجعلوه في قرية قوم فأصاب أولئك القوم أوجاع في أعناقهم، وقيل: جعل في مخراة قوم فكانوا يصيبهم الناسور، فلما عظم بلاؤهم كيف كان قالوا: ما هذا إلا لهذا التابوت فلنرده إلى بلاد بني إسرائيل، فأخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين فأرسلوهما في الأرض نحو بلاد بني إسرائيل، فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني إسرائيل وهم في أمر طالوت، فأيقنوا بالنصر، وهذا هو حمل الملائكة للتابوت في هذه الرواية.

وقال قتادة والربيع: بل كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع ابن نون، فجعله يوشع في البرية، ومرّت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت، وكان أمْر التابوت مشهوراً عندهم في تركة موسى، فجعل الله الإتيان به آية لملك طالوت، وبعث الله ملائكة حملته إلى بني إسرائيل فيروى أنهم رأوا التابوت في الهواء يأتي حتى نزل بينهم، وروي أن الملائكة جاءت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت، فاستوثقت بنو إسرائيل عند ذلك على طالوت، وقال وهب بن منبّه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين)[(١)].

وبعد هذا النقل الطويل يعقّب أبو محمد بن عطية بقوله:(وكثر الرواة في قصص التابوت وصورة حمله بما لم أر لإثباته وجهاً للين إسناده)[(٢)].

إذن: فحكم ابن عطية على هذه القصة برواياتها المتعددة، وصورها المختلفة، جاء من ناحية عدم ثبوت وجه صحيح لها يمكن اعتماده أو الرجوع إليه، حيث صرّح ابن عطية بأن إسناد هذه القصة:" **ليّن**" مع أنه لم يذكر الإسناد كعادته، اعتمادا على نقله من تفسير ابن جرير الطبريّ[(٣)] الذي نقل عنه كثيرا من الروايات، وكان في غالب أمره يعتمده كمصدر أساسيّ في نقل ما

(١) المصدر السابق ٣٣٣/١ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: تفسير الطبريّ ٦٠٢،٦٠٢/٢ .

يتعلق بمثل هذا القصص، ولا يمنع هذا أيضا من أن ينقل عن مصادر أخرى غير الطبريّ.

ورجّح ابن عطية بعض تأويلات الطبريّ في جزء من تفسير هذه القصة حيث قال:(وتأويل الطبريّ[١] أشبه بأحوال بني إسرائيل الذميمة فإنهم أهل تكذيب وتعنت واعوجاج، وقد حكى الطبريّ معناه عن ابن عباس[٢] وابن زيد[٣] والسديّ[٤])[٥].

وبالنظر: في أسانيد هذه القصة التي ذكرها أهل الرواية يتبيّن صحة ما قاله ابن عطية، حيث ذكر العلامة الإمام الطبريّ عدة أسانيد لتفسير هذه القصة، وهي تدور على: وهب بن منبّه، وقتادة، عكرمة، والسديّ، والربيع وغيرهم من أهل التفسير، وكلها روايات مرسلة، لم يتصل شئ منها والمرسل من أقسام الضعيف.

هذا بالإضافة إلى ما هو مشهور عن وهب بن منبّه من روايته للإسرائيليات، لأنه كان حبرا من أحبار اليهود- قبل إسلامه- فطبيعيّ أن يذكر ما عَلِمَه من أخبار، وينقل ما عرفه من ثقافات وروايات إسرائيلية[٦].

---

(١) المصدر السابق ٢/٦٠١- ٦٠٣- والتفسير الذي يشير ابن عطية إليه في نسبته إلى الطبريّ هو قوله: ذهب الطبريّ إلى أن بني إسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيّهم: وما آية ملك طالوت؟ وذلك من جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله: إن الله بعث ".

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٦٠٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/٦٠٥ .

(٤) المصدر السابق ٢/٦٠٢ .

(٥) المحرر الوجيز ١/٣٣٢ .

(٦) انظر تلك الأسانيد في: تفسير الطبريّ ٢/٦٠١- ٦٠٨ .

المطلب الثالث

نقده للدخيل ببيان حاله وبطلانه متنا

عُرِف عن أبي محمد عبد الحق بن عطية نقده للدخيل من ناحية: "**السند**" وبيان حاله، ودحضه له – كما سبق ذكره– كذلك اشتهر عنه أنه ينقد الدخيل من جهة: "**المتن**" ويبيّن أنه لا يصلح أن يكون تفسيرا للنص الكريم.

وكثيرا ما يصرّح ابن عطية بذلك بعبارات مختلفة منها قوله:" **وهذا ضعيف** "[١]" **وهذا قول ضعيف** "[٢] :" **وهذا ضعيف جدا** "[٣] " **وهذا ضعيف يأباه رصف الكلام واتساق المعنى**"[٤] وغير ذلك من العبارات المتشابهة.

ولا شك أن هذا المنهج الفريد في رد الدخيل والإعراض عنه: ليعدّ من أبرز سمات العلامة أبي محمد بن عطية في تفسيره، لدرجة أني رأيت أنه لا تكاد تخلوا آية في تفسيره ورد فيها خلاف بين المفسّرين[٥] إلا وفنّده ورجّح فيه قولا على آخر، مع الإعلان عن دخالة الأقوال التي يعرف حالها وتعيين وجه دخالتها بأكثر من عبارة تدل على مراده.

هذا: وقد استطعت– بفضل ربي تبارك وتعالى وتوفيقه– أن أرصد العديد من ألوان الدخيل الوارد في تفسير أبي محمد عبد الحق بن عطية والذي قام هو بتفنيده ونقده من حيث المتن ودحضه.

وبالتعمق في دراسة هذه الناحية تحققت من أمرين مهمين:

الأول: أن العلامة ابن عطية– في غالب أمره– لا يذكر سبب ضعف القول المذكور، أو وجه تضعيفه التفسير الذي عدّه هو من الدخيل الذي لا يصح أن يكون نوعا معتمدا من وجوه التفسير المقبولة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤٩/١ .

(٢) المصدر السابق ٦٤/١ .

(٣) المصدر السابق ٧٤/١ .

(٤) المصدر السابق ١١٠/١ .

(٥) فيما يتعلّق برواية مأثورة جاءت تفسيرا لقصص قرآنيّ وغيره أيضا.

الثاني: أنه يصرّح– أحيانا– بالسبب الذي من أجله أصبح القول الوارد ضعيفا، أو بسببه كان من دخيل التفسير– في رأيه–٠

وكلا الأمرين: يعد من أبرز سمات منهجه في تعيين الدخيل من الأقوال، والباطل من التفسير، فيما يختص بناحية نقد الدخيل من جهة المتن٠

الأمثلة والنماذج

١- في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١)٠

قال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية:(" **وَإِسْمَاعِيلُ** "عطف على:" **إِبْرَاهِيمُ** "وقيل: هو مقطوع على الابتداء وخبره فيما بعد٠قال الماورديّ(٢) " **وَإِسْمَاعِيلُ** " أصله: اسمع يا إيل)(٣)أ٠هـ٠

ولم يرتض أبو محمد هذا التفسير الوارد عن الماورديّ، بل حكم عليه بالضعف بقوله:(وهذا ضعيف)(٤)٠

إلا أن ابن عطية لم يبيّن سبب تضعيفه كلام الماورديّ هذا، مع أنه قد نقل هذا التفسير غير واحد من المفسرين عن الماورديّ، ومنهم من عزاه إليه صراحة، ومنهم من لم يذكر النسبة إليه بالاسم، ومن هؤلاء العلماء:

الإمام البغويّ حيث قال:(قيل: سمي إسماعيل: لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول: اسمع يا إيل، و:" **إيل** " هو: الله، فلما رزق الولد سماه به)(٥)٠

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ ٠

(٢) تفسير الماورديّ ١/١٩٠تحقيق السيد عبد المقصود ط دار الكتب العلمية بيروت٠

(٣) المحرر الوجيز ١/٢١١ ٠

(٤) المصدر السابق٠

(٥) تفسير البغويّ ١/١١٤ ٠

والعلامة الإمام القرطبيّ في قوله:(وتفسير إسماعيل: اسمع يا الله لأن:" **إيل** " بالسريانية هو: الله، فقيل: إن إبراهيم لما دعا ربه قال: اسمع يا إيل، فلما أجابه ربه ورزقه الولد سماه بما دعاه- ذكره الماورديّ)[1].

ولم يذكر كل من الإمامين: البغويّ والقرطبيّ- تضعيفا لهذا التفسير ولعله إشارة منهما إلى أنهما رضياه كتفسير وبيان لمعنى:" إسماعيل "٠

ثم قال أبو محمد بن عطية في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾[2] قال:(وقولهما:" **وَاجْعَلْنَا**" أرادا بمعنى: صيّرنا، تتعدى إلى مفعولين، و:"**مُسْلِمَيْنِ**" هو المفعول الثاني، وكذلك كانا فإنما أراد التثبيت والدوام، والإسلام في هذا الموضع: الإيمان والأعمال جميعا، وقرأ ابن عباس وعوف:" **مُسلمين** "[3]على الجمع و:" **مِنْ**" في قوله: " **وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا**" للتبعيض، وخَصّ من الذرية بعضا: لأن الله تعالى قد كان أعلمه أن منهم ظالمين، والأمة: الجماعة٠وحكى الطبريّ[4] أنه أراد بذلك العرب خاصة٠

قال القاضي أبو محمد- رحمه الله-:وهو ضعيف،لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم)[5].

وهنا علّل أبو محمد بن عطية رده لتفسير الطبريّ هذا بأن: دعوة الرسول ﷺ وإن كان ظهورها في العرب، إلا أنها عامة فيهم وفي غيرهم٠

---

(١) تفسير القرطبيّ ١٢٦/٢- وانظر :الماوردي١٩٠/١كما في التخريج السابق قريبا٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨ ٠

(٣) هي قراءة شاذة كما في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه صـ ٩وعزاها لعوف الأعرابي والحسن فقط٠

(٤) تفسير الطبريّ ٥٥٣/١ وعبارة ابن جرير:"وأما قوله:" وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ " فإنهما خصّا بذلك بعض الذرية، لأن الله تعالى ذكره قد كان أعلم إبراهيم خليله ﷺ قبل مسألته هذه أن من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره، فخصا بالدعوة بعض ذريتهما وقد قيل إنهما عنيا بذلك العرب٠٠٠عن السديّ:"وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ "يعنيان العرب"٠

(٥) المحرر الوجيز ٢١١/١ ٠

ونقل أبو عبد الله القرطبيّ تضعيف ابن عطية لكلام الطبريّ ورضي هذا التضعيف(١) مع العلم بأن هذا القول الذي ذكره ابن عطية عن الطبريّ إنما هو رواية عن السديّ نقلها ابن جرير عنه في تفسيره، ولم يوافقه عليها ولم يقبلها أيضا، بل صرّح ببطلانها حيث قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد ابن جرير الطبريّ:(وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه، لأن ظاهره يدل على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لأمره، وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب والمستجيب لأمر الله، والخاضع له بالطاعة من الفريقين، فلا وجه لقول من قال:عَنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقا من ولده بأعيانهم دون غيرهم، إلا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد.

وأما الأمة في هذا الموضع فإنه يعني بها: الجماعة من الناس، من قول الله:" **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**"(٢)(٣).

ويؤيد ذلك: ما أورده الإمام ابن كثير في تفسير الآية ذاتها حيث قال:(قال السديّ:" **وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ** "يعنيان العرب.قال ابن جرير(٤): والصواب أنه يعم العرب وغيرهم، لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل، وقد قال الله تعالى:" **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ")(٥).

ثم علّق ابن كثير بعد هذا بقوله:(قلت: وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السديّ، فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم، والسياق إنما هو في العرب، ولهذا قال بعده:" **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ** "(٦) الآية، والمراد بذلك محمدا ﷺ وقد بُعِثَ فيهم، كما قال تعالى:" **هُوَ الَّذِي**

(١) تفسير القرطبيّ ١٢٧/٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٩ .
(٣) تفسير الطبريّ ٥٥٣/١ .
(٤) المصدر السابق.
(٥) تفسير ابن كثير ١٨٤/١ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٢٩ .

بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ "(١) ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود، لقوله تعالى:" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا "(٢) وغير ذلك من الأدلة القاطعة)(٣).

المطلب الرابع:

إيراده الدخيل والسكوت عنه دون تعليق أو تعقيب

ذكر الدخيل من الإسرائيليات والروايات الباطلة دون التنبيه على خطورته أو بيان مساوئه، كان هو الطابع العام عند غالبية أئمة التفسير وعلمائه، حيث لم ينج واحد منهم – في الغالب– من الوقوع في دائرة الدخيل بذكر رواياته والإعجاب بها، أو السكوت عنها.

ومن هؤلاء الأئمة: أبو محمد عبد الحق بن عطية حيث لم يستطع أن يتخلص نهائيا من رواية الدخيل من الإسرائيليات والأباطيل في تفسيره بصورة تجعله ينضم إلى غيره من علماء التفسير الذين شغفوا بالدخيل وذكر رواياته، دون تعليق عليه أو بيان حاله وبطلانه، لكن بصورة تختلف كثيرا عن صورة غيره من أئمة التفسير الذين شغفوا بالدخيل وتسكينه في كتبهم.

وهذا كما يقول الدكتور عبد الوهاب فايد– رحمه الله تعالى–عن وصف الحالة العامة عند المفسرين:(لأن رواية الإسرائيليات عند المفسرين حتى ذلك الوقت كانت تعتبر شيئا ضروريا بالنسبة لبيان المجمل، وشرح المطويّ في آيات القصص من القرآن الكريم، وبخاصة إذا لم يثبت في تفسير هذه الآيات شئ صحيح عن الرسول ﷺ فرواية الإسرائيليات في كتب التفسير كانت قدرا مشتركا بين الجميع، ولكن الذي فعله ابن عطية هو أنه نادى بعدم الإكثار من هذه الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير، والإقلال من هذه الروايات ما أمكن وإن

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .
(٣) ابن كثير ١/١٨٤ .

كان ابن عطية قد ذكر طرفا منها، دون أن يعقب عليها متأثرا بالطابع العام الذي طغى على كتب التفسير السابقة)[1].

وما أكثر ما قاله الدكتور فايد فيما يختص بهذا الشأن، لأن الناظر في تفسير ابن عطية يرى ذلك جيدا وبصورة لا تخفى على المتمرس في دراسة الدخيل والنظر فيه لبيان حاله وبطلانه.

الأمثلة والنماذج

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

قال أبو محمد:(ذهب بعض العلماء إلى أن حصر يحيى عليه السلام كان لأنه لم يكن له إلا مثل الهدبة، وذهب بعضهم إلى أن حصره كان لأنه كان عنيناً لا يأتي النساء، وإن كانت خلقته غير ناقصة، وذهب بعضهم إلى أن حصره كان بأنه يمسك نفسه تقىً وجلداً في طاعة الله، وكانت به القدرة على جماع النساء.

قالوا: وهذا أمدح له، وليس له في التأويلين الأولين مدح، إلا بأن الله يسّر له شيئاً لا تكسّب له فيه، وباقي الآية بيّن، وروي من صلاحه عليه السلام أنه كان يعيش من العشب، وأنه كان كثير البكاء من خشية الله حتى خدد الدمع في وجهه طرقاً وأخاديد)[3].

ففي هذا التفسير: الذي يتعلق بنبيّ من الأنبياء- عليهم السلام- وبيان وجه الحصر فيه حسبما نطقت به الآية الكريمة دون أن تحدد نوع هذا الحصر، قد سمح ابن عطية لقلمه أن يسطر وينقل عن أهل الرواية في تحديدي نوعية الحصر هذا، بما قال وسطر.والحق أن هذا التفسير باطل من وجوه أجملها فيما يلي:

---

(١) منهج ابن عطية صـ ١٨٤، ١٨٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٩ .
(٣) المحرر الوجيز ١/٤٣٠ .

أولا: أن ما أورده أبو محمد من أقوال في بيان الآية لم يزد على كونه مجرد روايات مرسلة لا يعرف قائلها، وعلى فرض معرفة قائلها فهي لا تعدوا أن تكون مرسلة لا ترقى إلى أن تكون تفسيرا للآية، كيف وعندنا ما هو أصح وأفضل لتفسير الكتاب بما لا يتعارض مع النقل والعقل؟.

ثانيا: أن وصفه بأوصاف منها: أن ما معه كان مثل الهدبة، أو كان عنينا..الخ. لا يجوز وصفه بها لأنها عيوب ونقائص، وقد نزّه الله تعالى أنبيائه عن العيوب الخلقية والخلقية، وكذا الأمراض المنفرة ..الخ.

ثالثا: أن الوصف بـ:" الحصور" جاء على سبيل المدح، وتفسيره بما ورد هنا من العنة والهدبة وغيرهما مما لا يليق هو عيب، فكيف يكون المدح بما هو عيب أو نقص ينزّه عن مثله الأنبياء- عليهم السلام-.

نقل الألوسي في تفسيره عن بعض الحفاظ عن رسول الله ﷺ :" أن ما معه عليه السلام كان: كالأنملة"[1]وفي بعض الروايات: كالقذاة[2] وفي أخرى: كالنواة، وفي بعض: كهدبة الثوب[3].

ثم قال الألوسي مرجّحا الرأي الأول وهو أن معنى:" الحصور" هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه.قال:(والأصح الأول إذ العنة عيب لا يجوز على الأنبياء وبتسليم أنها ليست بعيب فلا أقل أنها ليست بصفة مدح، والكلام مخرج مخرج المدح، وما أخرجه الحفاظ-على تقدير صحته- يمكن أن يقال: إنه من باب التمثيل والإشارة إلى عدم انتقاعه عليه السلام بما عنده لعدم ميله للنكاح، لما أنه في شغل شاغل عن تلك.ومن هنا قيل: إن التبتل لنوافل العبادات أفضل من الاشتغال بالنكاح استدلالا بحال يحيى عليه السلام)[4].

---

(١) روح المعاني ١٤٨/٣ .

(٢) هذا القول لم يورده غير الألوسيّ في تفسيره ١٤٨/٣ولم أجد له أصلا ولا أعلم كيف يعزوه إلى الحفاظ على سبيل الإجمال دون أن يحدد واحدا منهم على الأقل.

(٣) روح المعاني ٣/ ١٤٨ .

(٤) تفسير البغويّ ١/ ٣٣ .

والتفسير الصحيح للآية هو: ما نقله العلامة البغويّ وغيره من أن الحصور: هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه[١] ثم قال البغويّ مرجّحا هذا القول: (واختار قوم هذا القول لوجهين: أحدهما: لأن الكلام خرج مخرج الثناء وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء٠والثاني: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء)[٢]٠

وقال الشافعيّ: وقد ذكر الله تعالى عبدا كرمه فقال: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣] والحصور: الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه[٤]٠

وقال البيضاويّ:("وَحَصُورًا" مبالغا في حصر النفس عن الشهوات والملاهي)[٥]وكذا قال أبو السعود[٦] وكان الأولى بشيخنا ابن عطية أن يومئ ولو بإشارة خفية إلى ضعف ما نقل من أقوال لا تقوم بها حجة، ولا يقويها رأي أو سند٠

(١) المصدر السابق ١/ ٣٣ ٠
(٢) المصدر السابق٠
(٣) سورة آل عمران الآية ٣٩ ٠
(٤) نقله البغوي في المصدر السابق ٣٨/١ ٠
(٥) تفسير البيضاوي٣٥/١ ٠
(٦) تفسير أبي السعود ١/ ٣٢ ٠

المطلب الخامس:

موافقته غيره من المفسرين وأصحاب الرواية على بعض الدخيل ورضاه به

كثيرا ما ينقل أبو محمد ابن عطية عن بعض المسرين مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ – رحمه الله– ويوافقه على ما يذكر دون تعليق أو تعقيب ما هذا إلا رضا بما ينقل، وإقرارا له، بل ربما وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الإعجاب بهذا المنقول، والأمثلة على ذلك كثيرة أنقل منها ما يلي:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ (١).

نقل ابن عطية عن الطبريّ وغيره أقوالا في تحديد القرية التي مرّ بها عزير، ثم سكت أبو محمد عن ما نقله عن أبي جعفر من قوله دون تعقيب عليه، مما يدل على موافقته له فيما ذهب إليه ورضاه به٠

قال ابن عطية:(اختلف في القرية أيما هي: فحكى النقاش أن قوما قالوا: هي المؤتفكة٠وقال ابن زيد: إن القوم:"الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا "(٢) مرّ عليهم رجل وهم عظام تلوح فوقف ينظر فقال:"أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ "٠

وترجم الطبريّ: على هذا القصص بأنه قول: بأن القرية التي مرّ عليها هي التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم٠

قال القاضي أبو محمد: وقول ابن زيد لا يلائم الترجمة، لأن الإشارة بهذه على مقتضى الترجمة هي إلى المكان، وعلى نفس القول هي إلى العظام والأجساد٠وهذا القول من ابن زيد مناقض لألفاظ الآية، إذ الآية إنما تضمنت

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٣ ٠
(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٣ ٠

قرية خاوية لا أنيس فيها، والإشارة بهذه إنما هي إلى القرية، وإحياؤها إنما هو بالعمارة ووجود البناء والسكان.

وقال وهب بن منبّه وقتادة والضحاك وعكرمة والربيع: القرية بيت المقدس لما خرّبها بخت نصر البابليّ في الحديث الطويل حين أحدثت بنو إسرائيل الأحداث وقف أرمياء أو عزير على القرية وهي كالتل العظيم وسط بيت المقدس، لأن بخت نصر أمر جنده بنقل التراب إليه حتى جعله كالجبل ورأى أرمياء البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها، والعريش سقف البيت وكل ما يهيأ ليظل أو يكن فهو عريش ومنه عريش الدالية والثمار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1] قال السدي: يقول هي ساقطة على سقفها، أي: سقط السقف ثم سقطت الحيطان عليها، وقال غير السدي: معناه خاوية من الناس على العروش أي على البيوت، وسقفها عليها لكنها خوت من الناس والبيوت قائمة.

قال أبو محمد: وانظر استعمال العريش مع على، في الحديث في قوله:" **وكان المسجد يومئذ على عريش في أمر ليلة القدر**"[2] وقد حكى الطبريّ عن بعضهم أنه قال: كان هذا القول شكاً في قدرة الله على الإحياء فلذلك ضرب له المثل في نفسه.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق ﷺ: وليس يدخل شك في قدرة الله على إحياء قرية بجلب العمرة إليها، وإنما يتصور الشك من جاهل في الوجه الآخر. **والصواب:** أن لا يتأول في الآية شك)[3].

ففي هذا المثال: وافق ابن عطية الطبريّ على ما ذهب إليه في تحديد موضع القرية وخالف ابن زين ومن نحا نحوه، إلا أنه لم يوافق الطبريّ في نقله عن

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٢)البخاريّ كتاب الاعتكاف باب"الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كله"حديث ١٩٢٣جـ٢صـ٧١٣ .

(٣) ابن عطية ٣٤٨/١ .

بعضهم أن عزيرا شك في قدرة الله تعالى على الإحياء، لأن هذا لا يصدر من عارف بالله تعالى وقدرته المطلقة، إنما يصدر الشك من جاهل٠الخ٠

ويعد هذا من أعظم المواقف التي ظهر بها ابن عطية في تفسيره حيث لا يوافق الطبريّ وغيره من أصحاب الرواية والتفسير على كل شئ بل لو كان هناك ما يرد التفسير الوارد عنهم بعقل أو نقل نبّه إليه، وأرشد إلى موضع الصواب فيه ونقل القرطبي كلام ابن عطية في رده على ابن زيد، وفي معارضته للطبري وأقره على ذلك(١)٠

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي:(والقرآن الكريم لم يهتم بتحديد الأشخاص والأماكن لأنه يقصد العبرة وبيان الحال والشأن)(٢)٠

ومن الجدير بالذكر:- ونحن نتحدث في هذا المبحث عن رضاه ببعض الدخيل – أن نشير إلى أن ابن عطية كان عندما يتعرض للعديد من الروايات التي تحدثت عن تفصيلات سكتت عنها الآيات الكريمة، كان يرفضها ويعرض عنها، بل وينبّه على دخالتها لتعارضها من جهة، ولأنها لم تستند إلى رواية صحيحة تؤيدها من جهة أخرى٠

ومن ذلك قول القاضي أبو محمد:(وقد أكثر الناس في قصص حرق إبراهيم وذكروا تحديد مدة بقائه في النار وصورة بقائه ما رأيت اختصاره لقلة صحته، والصحيح من ذلك أنه ألقي في النار فجعلها الله تعالى عليه: " **برداً وسلاماً** "خرج منها سالماً وكانت أعظم آية)(٣)٠

غير أنه يعود مرة أخرى إلى سرد الروايات الضعيفة دون تعقيب عليها٠

(١) تفسير القرطبي ١/٢٧٥ ٠
(٢) التفسير الوسيط ١/٤٨٠ ٠
(٣) المحرر ٤/٨٨، ٨٩ ٠

من ذلك قوله:(وروي أنهم قالوا إنها نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق، وروي أن العيدان أينعت وأثمرت له هنالك ثمارها التي كانت أُصولها)[1].

ومما يجب الإشارة إليه أيضا: أن ابن عطية أنه كان وقّافا عند اللفظ القرآنيّ برسوخ أصله، وبراعة أسلوبه، وجمال اتساقه، وأن أيّ تفسير يخالف ظاهر اللفظ وجوهره فإنه يحمل رده ودحضه في طيّاته، لأنه مخالف لما عليه قواعد العربية التي تشهد للقرآن الذي هو أصلها ونبعها الصافي.

ومثال ذلك قوله:(وقوله: "**وسلاماً** "معناه: وسلامة، وقال بعضهم: هي تحية من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام وهذا ضعيف، وكان الوجه أن يكون مرفوعاً.

و:"**الكيد**"هو ما أرادوه من حرقه وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبته لهم وحرق الشيخ الذي جربوا به النار. وروي أن الملك بنى بناء واطلع منه على النار فرأى إبراهيم عليه السلام ومعه ناس فعجب وسأل: هل طرح معه أحد؟ فقيل له فناداه فقال: من أولئك؟ فقال: هم ملائكة ربي.والمرويّ في هذا كثير غير صحيح)[2].

المطلب السادس:

اقتصاره على الصحيح من الروايات والمقبول من الأقوال

بما أني خبرت ابن عطية في تفسيره ووقفت على منهجه وطريقته في التعامل مع قصص السابقين وما نقل عنهم من روايات في شرح الآيات التي وردت بشأنهم، وما حدث في زمنهم، رأيت أن أبا محمد كان يتعامل مع تلك القصص بطريقة فيها حيطة كبيرة، وحذر شديد، حتى لا يصدّق ما هو مكذوب، أو يكذّب ما هو صادق، فيقع في تلك الحالتين في المحظور، ولكنه كان يسرد الأقوال على عواهنها بطريقة موجزة مقتصرا فيها على بيان موضع العبرة فقط، ثم يشير في

(١)المصدر السابق ٨/٨٩ .
(٢) المصدر السابق ٤/٨٩ .

نهاية الأمر إلى أن تلك الأقوال ما هي إلا جزء قليل من جملة كبيرة من الأقوال اختصرها هو لأمرين مهمين:

الأول: عدم حاجة التفسير إليها أصلا، بل استغناؤه عنها، لأنها تشين التفسير ولا تزيّنه بحال.

الثاني: أن مثل هذه الأقوال إنما جاءت على سبيل النقل والسرد الخالي من الإثباتات والأدلة التي تقوي شأنها، وتؤيدها.

من أجل هذا: سيكون حديثنا عن ابن عطية في هذا المبحث منصبا على الاقتصار على الصحيح من ناحية العقل، أو الثابت من جهة النقل إن وجد له أصل فيه، وأعني بذلك أنه يحكم عقله فيما ينقل ويكتفي بذكر التفسير الموافق لظاهر النص فقط، وحسب ما يوحي به دون الدخول في تفاصيل لا طائل من ورائها، كما أنها ليس لها معضد من نقل ثابت عن المعصوم ﷺ أو الصحابة الكرام ﷺ والذي أخذ درجة المرفوع بشروطه المعروفة.

ففي هذه الحالة: يقوم ابن عطية بإبداء رأيه كمفسر حاذق فيعلن عن الكم الهائل من الروايات الواردة في تلك القصة بأنها لا تصلح أن تكون تفسيرا للنصوص الكريمة الواردة في هذا الشأن، ولذا أعرض عن سردها كلها.

وإليك الأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١- في تفسيره لسورة الأعراف الآية رقم ٦٩: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

في قصة نبيّ الله هود عليه السلام مع قومه أقاويل وحكايات سردها جمع من المفسرين معظمها – إن لم يكن الكل– مأخوذ من كتب بني إسرائيل، وقد شغف بها أصحاب النقول وهواة الجمع الكثير الأمر الذي جعل المحققين منهم أمثال ابن عطية ينظر في تلك الروايات وينقدها تارة، أو أنه يعرض عن ذكرها

(١) سورة الأعراف الآية ٦٩ .

أصلا في تفسيره تارة أخرى، غير أنه ينبّه عليها وعلى خطورتها إجمالا كي يحذرها القارئ المسلم ولا يغترّ بها٠

فنراه يقول في تفسير النص الذي معنا من هذه القصة:(والذكر لفظ عام للمواعظ والأوامر والنواهي وقوله تعالى:" **وَاذْكُرُوا**"الآية تعديد للنعم عليهم و:"**خُلَفَاءَ** "جمع خليف كظريف وظرفاء، و: خليفة جمع خلائف، والعرب تقول: خليفة وخليف وأنشد أبو علي:

فإن يزل زائل يوجد خليفته ٠٠٠ وما خليف أبي وهب بموجود

قال السديّ وابن إسحاق: والمعنى: جعلكم سكان الأرض بعد قوم نوح وقوله:" **وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً** " أي: في الخلقة، والبصطة: الكمال في الطول والعرض٠وقيل: زادكم على أهل عصركم٠

قال الطبريّ(١): المعنى زادكم على قوم نوح٠وقاله قتادة٠

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يقتضي أن الزيادة هي على جميع العالم، وهو الذي يقتضي ما يذكر عنهم٠

وروي أن طول الرجل منهم كان مائة ذراع، وطول أقصرهم ستون ونحو هذا٠

و:" **الآلاء** "جمع إلا على مثال: معي، وأنشد الزجاج للأعشى:

أبيض لا يرهب الهزال ولا ٠٠٠ يقطع رحما ولا يخون إلا

وقيل واحد الآلاء: ألا على مثال: قفي وقيل: واحدها: إلى على مثال: حسي وهي النعمة والمنة٠و:"**تُفْلِحُونَ** " معناه: تدركون البغية والآمال٠٠٠

قال القاضي أبوَ محمد: وهذا قصص وقع في تفسير مطولاً، وفيه اختلاف فاقتضبت عيون ذلك بحسب الإيجاز٠

(١) تفسير الطبريّ ٥/٥٢٣ ٠

وفي خبرهم: أن الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع الظعينة عليها المرأة حتى تلقيها في البحر، وفي خبرهم أن أقويائهم كان أحدهم يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه في البحر فيقوم آخر مكانه حتى هلك الجميع.

وقال زيد بن أسلم: بلغني أن ضبعاً ربت أولادها في حجاج عين رجل منهم.وفي خبرهم أن الله بعث لما هلكت عاد طيراً، وقيل: أسداً فنقلت جيفهم حتى طرحتها في البحر، فذلك قوله:" ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ (١) في بعض ما روي من شأنهم: أن الريح لم تبعث قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها تمت على الخزنة فغلبتهم فذلك قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٢).

وروي أن هوداً لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه إلى مكة فكانوا بها حتى ماتوا .فالله علم أيّ ذلك كان)(٣).

فنرى أبا محمد ابن عطية: ينقل الأقوال ولا يجزم بتصديقها أو تكذيبها وإن كان يستشهد أصحاب النقول بشواهد من القرآن نفسه، إلا أن ابن عطية يوكل علم ما في الغيب إلى رب الغيب وهو الصواب الذي لا مراء فيه. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٥ .
(٢) سورة الحاقة الآية ٦ .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٥٧- تفسير الثعلبيّ ٢/٣٠ .

المطلب السابع:

إعراضه عن وجود الدخيل في تفسيره

يجد المتصفح للمحرر الوجيز نفسه في حيرة من أمره، وذلك حين يرى أن هذا التفسير قد شحن فيه مؤلفه كما هائلا من الروايات الإسرائيلية والأخبار المروية عن القُصّاص وأصحاب الحكايات، بما يظن– ولو ظنا ضعيفا– أن لبعضها أصلا، الأمر الذي يدعو القارئ الفاحص والبصير الناقد إلى البحث عن تلك الروايات وتحديد هُويّتها ومن أين أتت، وكيف يكون التعامل معها، وهل يصدقها القارئ أم يكذبها.

ولكن بعد فترة قصيرة: يعود المتصفح لـ:" **تفسير ابن عطية**" إلى الصواب ويجد أن وجود هذه الإسرائيليات في تفسير ابن عطية له شأن آخر، وأنها بالنسبة لما ذكر في غيره من كتب التفسير قليلة جدا، وأن صاحب التفسير كان فريدا من نوعه في تعامله مع تلك الروايات الدخيلة.

الأمر الذي جعل ابن عطية: بعد أن ينقل ما ينقل من تلك الأقوال والروايات يشير– ولو بكلمات معدودات – إلى أن الرواة أكثروا في ذلك من حكاياتهم وقصصهم، إلا أن الأمر يقتضي تبصير المسلم بحال تلك الروايات حتى ولو لم يجدها مفصلة في:" **المحرر الوجيز** " فإنه سيجدها في كتب كثيرة غيره عنيت بذلك أيّما عناية، وأصبحت لها سكنا وموطنا.

لذا عمدت: في هذا المبحث إلى أن أعيّن كلام ابن عطية وأرصد تعليقاته في بعض القصص القرآنيّ الذي اندست في تفسيره وبيانه روايات كانت للكشف عن معانيه، وتوضيح آياته، بمثابة العامل الهدّام الذي يصرف الأنظار عن العبرة والعظة من تلك القصص، إلى أمور لا يحتاج إليها المسلم، بل ربما أضرت به في فكره وثقافته، وعملت على وقوعه في حيرة من أمره، حتى لا يدري الصواب من الخطأ، والحق من الباطل.

من هنا: يبرز دور العلامة أبي محمد ابن عطية في التنبيه إلى تلك الروايات ومدى خطورتها على المسلم بأكثر من أسلوب، سواء كان بفضح أمرها سندا ومتنا- كما مر- أو بالتصريح بتركها وعدم الاعتناء بنقلها في كتابه، أو بسرد أقوال غيره من المفسرين في بيان دحضها وضعفها.

الأمثلة والنماذج

١- في قصة السيدة مريم البتول – عليها السلام – وحملها بسيّدنا عيسى المسيح عليه السلام وتفسير قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (١).

قال ابن عطية:(حكى الطبريّ في قصصها أنَها لما حملَت بعيسى حملت أيضا أختها بيحيى، فجاءتها أختها زائرة فقالت: يا مريم أشعرت أني حملت؟ قالت لها مريم أشعرت أنت أني حملت؟ قالت لها: وإني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك، وذلك أنه روي أنها أحست جنينها يخرّ برأسه إلى ناحية بطن مريم.قال السديّ: فذلك قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٢) وفي هذا كله ضعف فتأمله.وكذلك ذكر الطبريّ من قصصها أنها خرجت فارة مع رجل من بني إسرائيل يقال له: يوسف النجار، كان يخدم معها المسجد، وطول في ذلك فاختصرته لضعفه، وهذه القصة تقتضي أنها حملت واستمرت حاملا على عرف البشر، واستحيت من ذلك ومرت بسببه وهي حامل، وهو قول جمهور المتأولين.وروي عن ابن عباس أنه قال: ليس إلا أن حملت فوضعت في ساعة واحدة.والله أعلم.

وظاهر قوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (٣) يقتضي أنها كانت على عرف النساء، وتظاهرت الروايات بأنها وَلدته لثمانية أشهر، ولذلك قيل: لا

(١) سورة مريم الآية ٢٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٩ .
(٣) سورة مريم الآية ٢٣ .

يعيش ابن ثمانية أشهر حفظا لخاصية عيسى عليه السلام وقيل: ولدته لسبعة وقيل: لستة)[1].

هكذا كان حال ابن عطية: في التعامل مع الدخيل من التنبيه عليه ومجه والتصريح بأنه لا يصلح أن يكون بيانا للآيات، وتفسيرا للقصص القرآنيّ العظيم، وقد ظهر ذلك من حكمه على ما حكاه الطبريّ: بأنه كله ضعيف، وأن فيه تطويل ذكره هو باختصار لضعفه[2].

والمشهور عن الجمهور: أنها حملت به تسعة أشهر ،قال عكرمة: ثمانية أشهر ،وعن ابن عباس أنه قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت، وهذا غريب، وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[3] فالفاء وإن كانت للتعقيب، لكن تَعقيب كل شئ بحسبه ،

فالمشهور الظاهر:- والله على كل شئ قدير- أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ،،،والفاء في قوله تعالى:**{فَحَمَلَتْهُ}**هي الفصيحة أي: وبعد أن قال جبريل لمريم إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا نفخ فيها فحملته، أي: عيسى﴿ فانتبذت به ﴾أي: فتنحت به وهو في بطنها ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾أى: إلى مكان بعيد عن المكان الذي يسكنه أهلها)[4].

المطلب الثامن:

ذكره بعض الدخيل للتنبيه عليه وبيان حاله

بعد طول بحث، وإمعان نظر في تفسير ابن عطية لمواصلة الكشف عن حاله مع الدخيل وطريقته في التعامل معه، ورصد منهجيته في رده

(١) المحرر الوجيز ١٠/٤، ١١ ،
(٢) راجع المصدر السابق،
(٣) سورة مريم الآية ٢٢، ٢٣ ،
(٤) تفسير ابن كثير ٣ /١٥٧ ،

ودحضه، رأيت أنه كثيرا ما ينقل بعض روايات الدخيل من الإسرائيليات والأقوال المنثورة التي لا تقوم بها حجة، لغرض التنبيه عليها فقط، وإظهار حالها من البطلان، وأنها لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به.

وما ذاك إلا لما عرف عن أبي محمد ابن عطية من همة كبيرة في التحقيق، وخبرة عظيمة في التدقيق، ونظر ثاقب في بيان ما يصلح من التفسير وما لا يصلح منه.

الأمثلة والنماذج

١- في قصة أصحاب الكهف: وتفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (١)

قال ابن عطية: (واختلف الرواة في قصص هؤلاء الفتية، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف؟ وأكثر المؤرخون في ذلك، ولكن نختصر من حديثهم ونذكر ما لا تستغني الآية عنه، ونذكر من الخلاف عيونه بحول الله.

روى: مجاهد عن ابن عباس أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض النحويين- حسب ما ذكر النقاش- أو من مؤمني الأمم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرناه، فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فرفع أمرهم إلى الملك، وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك، واستخفوا آلهتك، وكفروا بها، فاستحضرهم الملك في مجلسه وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته، وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له- فيما روي-: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ (٢)... وقد اختصرت هذا القصص ولم أغفل من مهمه شيئا بحسب اجتهادي، والله المعين برحمته) (٣).

---

(١) سورة الكهف الآية ١٠.

(٢) سورة الكهف الآية ١٤.

(٣) المحرر ٣/ ٤٩٨- ٥٠٠ باختصار.

والحق: أن ما ذكره أبو محمد في تفسير هذه القصة يطفوا عليه الطابع الإسرائيليّ ولا يكاد شئ منه يصح للآتي:

أ- لأنه قام على مجرد روايات مرسلة لا ترتكز على أساس صحيح يمكن الاعتماد عليه وما هو إلا اجتهادات من أهل الرواية ليس إلا.

ب- كما أن ما ساقه مجاهد عن ابن عباس لا يأخذ حكم المرفوع لأنه يتعلق بأمر غيبيّ لم يرد فيه شئ عن المعصوم ﷺ.

جـ- أن معظم المرويّ عن ابن عباس في هذا الإطار من الأخبار الإسرائيلية نقلها عنه تلاميذه وإن كانت نسبتها إليه واضحة الزيف، لأن ابن عباس غير معروف عنه أنه كان يجلس إلى علماء أهل الكتاب ويأخذ عنهم بعض تفسير القصص القرآنيّ، فكم افترى على ابن عباس ونسب إليه ما لم يقله.

والعجب من ابن عطية: أنه عدّ ما ساقه في شرح الآيات لهذه القصة كلاما مهما لا يقوم التفسير إلا به، فكأنه أمر من الضرورة بمكان ذكره واعتماده.

٢- في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (١).

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية: (وقال ابن عباس في قصص هذه الآية: كان إبليس من أشرف صنف، وكان له سلطان السماء وسلطان الأرض، فلما عصى صارت حاله إلى ما تسمعون، وقال بعض العلماء إذا كانت خطيئة المرء من الخطأ فلترجه، كآدم، وإذا كانت من الكبر، فلا ترجه كإبليس، ثم وقف ﷺ الكفرة على جهة التوبيخ بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ يريد: أفتتخذون إبليس.

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.

وقوله: ﴿ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين يأمرون بالمنكر ويحملون على الأباطيل٠

وذكر الطبريّ[١] أن مجاهداً قال: ذرية إبليس الشيطان، وكان يعدهم: زلنبور صاحب الأسواق، يضع رايته في كل سوق وتبن صاحب المصائب، والأعور صاحب الربا، ومسوط صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً، وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع٠

قال القاضي أبو محمد: وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح فلذلك اختصرته٠وقد طول النقّاش في هذا المعنى، وجلب حكايات تبعد من الصحة، فتركتها إيجازا٠ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم من: " **أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمى خترت**"[٢].

وذكر الترمذيّ أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان[٣] والله العليم بتفاصيل هذه الأمور لا رب غيره)[٤].

وقد أحسن ابن عطية: في تعليقه على كلام النقّاش ووصفه لما ذكر بعدم الصحة، وأكد كلامه بما ثبت في الصحيح الجامع لمسلم، وسنن الترمذيّ مما ذكره عنهما في شيطان الوضوء، وكفة بهما حجة في رد الدخيل وعدم قبوله٠

٣- في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾[٥].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣٥/٨ بمعناه٠

(٢) مسلم كتاب السلام باب"التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة "حديث٢٢٠٣جـ ١٧صـ ١٧٢٨ ٠

(٣)الترمذيّ كتاب الوضوء باب"ما جاء في كراهية الإسراف في الوضوء بالماء"حديث ٥٧جـ١صـ٨٤ – مسند أحمد ١٣٦/٥ ٠

(٤) المحرر ٥٢٢/٣ ٠

(٥) سورة القصص الآية ٢٩ ٠

قال ابن عطية:(قال سعيد بن جبير: سألني رجل من النصارى: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب، أعني ابن عباس، فقدمت عليه فسألته فقال: قضى أكملهما وأوفاهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال:"**وفي**" فعدت فأعلمت النصراني، فقال: صدق هذا والله العالم.

وروي عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ سأل في ذلك جبريل فأخبره أنه قضى عشر سنين(١) وحكى الطبريّ عن مجاهد: أنه قضى عشراً وعشراً بعدها(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف)(٣).

هكذا كان حال ابن عطية: في تعامله مع الدخيل فيما يختص بالإعراض عنه وعدم ذكره أصلا في تفسيره، وإن ذكر بعضه فلأجل دحضه، والتنبيه عليه ورده، وكذا الحكم على غير المناسب من التفسير بالضعف تارة، وبالرد أخرى، أو بوصف قائله بالجهل وعدم المعرفة بما يقول، وعليه فلا يكون كلامه الوارد عنه مقبولا أو صالحا لأن يكون تفسيرا للآيات الكريمة المراد تفسيرها.وهذه المهمة العظيمة: المتمثلة في الكشف عن الدخيل ومجه بأكثر من طريقة، وبتعدد في الأساليب، لا تكون إلا لمثل ابن عطية ومن نحا نحوه من علماء التفسير وأئمته الذين نظروا في كتاب ربهم فأحسنوا النظر، وتدبروا فأيقنوا التدبر وتفكروا فأمعنوا التفكر، وبحثوا عن الصواب من القول ليكون تفسيرا للتنزيل الحكيم، فهداهم الله تعالى إلى مرادهم، ووفقهم لإدراك مقصودهم، فكانوا بعون ربهم أئمة معلمين، وجهابذة مقدَّمين وهداة مهديين، وإلى كتاب الله مرشدين، ولمراده معينين على قدر طاقتهم البشرية ومكتفين. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) مسند أبي يعلى ٥/١٠ .
(٢) تفسير الطبريّ ١٠/ ٦٥ .
(٣) ابن عطية ٤/٢٨٦ .

الخاتمة

نسأل الله تعالى خيرها وحسنها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد

فقد توصلت في نهاية هذا البحث إلي نتائج مهمة، تشهد في المقام الأول للإمام القاضي ابن عطية بالسبق في العلم والتقدم فيه، وحيازته المكانة العليا بين المفسرين، وأنه من أكابر أهل الفضل. **وتلك النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:**

١ – علو مكانة ابن عطية وسمو منزلة بين المفسرين في عصره، وأنه استحق كل وصف قيل في شأنه.

٢ – كانت المادة العلمية لتفسير:" **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" غزيرة في مكنونها، قوية في تركيبها، عظيمة في مبناها، كريمة في معناها، وما هذا إلا لأن ابن عطية أكثر من المصادر المتنوعة ما بين تفسير وحديث، وسيرة، وعقيدة، وتاريخ، وغير ذلك، الأمر الذي أتاح له أن يكون قِبلة لغيره، ومقصِداً لطلابه.

٣ – على الرغم من أن ابن عطية قد وقع في سرد بعض روايات الدخيل في تفسيره إلا أنه يعتبر– إلي حد كبير– أقلّ من غيره من المفسّرين الذين شغفوا بالإسرائيليات وروايتها في كتبهم، وإن كنا أخذنا عليه قبل ذلك مآخذ في شأن ذكر بعض الدخيل وعدم التنبيه عليه– أحيانا– وعلى خطورته.

٤ – لا شك أن:" القيمة العلمية لتفسير ابن عطية " هي واضحة جلية الأمر الذي أثّر في المفسرين بعده بصورة كبيرة، دعتهم إلى السير على منهج ابن عطية واقتفاء أثره، والاستفادة منه أيّما إفادة، في الطريقة والمنهج، وكل ما يتعلق بالتفسير وصناعته.

وفي الأخير أقول: إن كان في هذا البحث من حسن صنيع، وبهاء قصد، فهذا من فضل ربي تبارك وتعالى وتوفيقه، فله سبحانه الحمد والمنة ولا أحصي ثناء عليه ﷻ هو كما أثنى على نفسه٠وإن كان فيه من تقصير أو قصور فمني والشيطان، وحسبي أني اجتهدت وحاولت عمل شئ حسن يمكن أن ينفع طلاب العلم والمشتغلين بالتفسير، ومن المعلوم أن القصور من شيم البشر، والخطأ من سماتهم ولكن: لكل مجتهد نصيب٠

فاللهم ربنا نسألك – بحق وحرمة اسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وبحق نبيّك الأكرم، وقرآنك الأعظم، أن تتقبل هذا العمل عندك، وأن تجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، وأن تحقّق له النجاح الباهر، والتوفيق الكبير، والفلاح العظيم في الدنيا والآخرة يا كريم آمين٠آمين٠آمين٠

وصلي اللّه وسلّم وبارك علي سيّدنا ومولانا محمد،
وعلي آله وصحبه وسلم

أ.د محمد عبد الجليل حسن محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
عميد كلية البنات الأزهرية بأسوان

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جلّ من أنزله٠

ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعيّ:(ت٦٥٨هـ)"التكملة لكتاب الصلة" تحقيق عبد السلام الهراس ط دار الفكر بيروت١٩٩٥م،

ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين الجزريّ:(ت٦٣٠هـ)"اللباب في تهذيب الأنساب "ط دار صادر بيروت٠

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيبانيّ الجزريّ:(ت٦٠٦هـ):"النهاية في غريب الحديث والأثر" تحقيق محمود محمد الطناحي ط عيسى الحلبي بالقاهرة وط المكتبة الإسلامية٠

الآجريّ: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغداديّ(ت٣٦٠هـ)"الشريعة" تحقيق محمد حامد الفقي ط السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٦٩هـ٠

الأخفش: سعيد بن مسعدة ت:(٢١٠هـ)"معاني القرآن" تحقيق د٠ فائز فارس ط دار البشير، دار الأمل – الثالثة– ١٤٠١هـ–١٩٨١م٠

الأزهريّ: أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ:(ت٣٧٠هـ)"تهذيب اللغة" تحقيق إبراهيم الأبياريّ ط دار الكتاب العربيّ سنة ١٩٦٧م٠

الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب:(ت٥٠٢هـ)"المفردات في غريب القرآن" تحقيق محمد سيد كيلاني ط مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٧٠هـ٠

الألوسيّ: أبو الثناء شهاب الدين محمود شكري:(ت١٢٧٠هـ)"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" ط دار إحياء التراث العربيّ بيروت٠

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب:(ت٣٠٤هـ):"إعجاز القرآن" تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م٠

البخاريّ: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم:(ت٢٥٦هـ)"الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "المعروف بـ:"صحيح البخاري" تحقيق د٠مصطفي ديب بغا ط دار ابن كثير– اليمامة– بيروت– ١٤٠٧هـ١٩٨٧م٠

بروكلمان: كار بروكلمان المستشرق الألماني:(ت١٩٥٦م)"تاريخ الأدب العربي" ط دار المعارف – الثالثة–٠

البزار: أبو بكر أحمد بن عمر:(ت٢٩٢هـ):"مسند البزار" تحقيق د٠محفوظ الرحمن زين الله ط مؤسسة علوم القرآن بيروت– الأولى–١٤٠٩هـ٠

بشتاويّ: عادل سعيد:" الأندلسيون المواركة " ط شيونال برس بالقاهرة – الأولى– ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م٠

البغداديّ: إسماعيل باشا بن محمد أميم بن مير سليم اليابانيّ البغداديّ: (١٣٣٩هـ–١٩٢٠م)"هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين" ط البهية باستانبول ١٣٧١هـ–١٩٥١م٠

البغويّ: أبو محمد بن حسين بن مسعود الفراء:(ت٥١٠هـ):"معالم التنزيل" المعروف بـ:" تفسير البغويّ" بتحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين ط دار طيبة بالرياض ١٤٠٩هـ ٠

البنا: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي:(ت١١١٦هـ)" إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" تصحيح وتعليق عليّ محمد الضباع ط دار الندوة الجديدة بيروت٠

البيضاويّ: عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازي:(ت٦٨٥هـ):"تفسير البيضاويّ" المعرف بـ:"أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تحقيق عبد القادر عرفات ط دار الفكر بيروت ١٤١٦هـ–١٩٩٦م٠

البيهقيّ: أبو بكر أحمد بن الحسين:(ت٤٨٥هـ)"السنن الكبرى" ط دار المعرفة بيروت٠

الترمذيّ: أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ:(ت٢٧٩هـ)"الجامع الصحيح " المعروف بـ:" سنن الترمذيّ " تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ط دار إحياء التراث العربيّ بالقاهرة٠

ابن تيمية: شيخ الإسلام تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: (ت ٧٢٨هـ): "مقدمة في أصول التفسير" ط دار ابن حزم بيروت–

الجلالان: جلال الدين المحلي:(ت٨٦٤هـ)وجلال الدين السيوطي:(ت٩١١هـ):"تفسير الجلالين" ط دار الحديث بالقاهرة – الأولى– بدون تاريخ٠

الجمل: سليمان بن عمر العجيليّ:(ت١٢٠٤هـ)" الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية" المعروف بـ:"حاشية الجمل" ط دار إحياء الكتب العربيّة بيروت٠

ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصليّ:(ت٣٩٢هـ)"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها " تحقيق عليّ النجدي ناصف– د٠عبد الفتاح إسماعيل شلبي ط القاهرة ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م٠

ابن حجر: أحمد بن على الحافظ :(ت٨٥٢هـ)"مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ"تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ–"تهذيب التهذيب"ط مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند١٣٢٦هـ– ط دار الفكر بيروت– "الإصابة في تمييز الصحابة" تحقيق على محمد البجاوي ط دار الجيل بيروت١٤١٢هـ–١٩٩٢م"٠

ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القبسيّ الإشبيليّ:(ت٥٢٩هـ): " قلائد العقيان ومحاسن العيان"ط التقدم العلمية – الأولى–١٣٢٠هـ٠

خليفة: حاجي خليفة:(ت١٠٦٧هـ)"كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" ط المطبعة الإسلامية بطهران ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧م٠

الحاكم:أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع:(ت٤٠٥هـ)"المستدرك على الصحيحين"ط دار المعرفة بيروت– الأولى– ١٤١٨هـ–١٩٩٨م

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد الحافظ:(ت٣٥٤هـ)"صحيح ابن حبان"– إحسان– تحقيق شعيب الأرنؤوط– الثانية– ١٤١٤هـ–١٩٩٣ط مؤسسة الرسالة بيروت– "الثقات"ط مؤسسة الرسالة بيروت٠

ابن حزم: أبو محمد عليّ بن أحمد الأندلسي:(ت٤٥٦هـ):"جمهرة أنساب العرب"ط دار المعارف بمصر– الخامسة–"الفصل في الملل والأهواء والنحل"ط مؤسسة الخانجي بمصر٠

ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانيّ اللوشيّ الأصل الغرناطيّ الأندلسيّ أبو عبد الله:(ت٧٧٦هـ):"الإحاطة في أخبار غرناطة" تحقيق محمد عبد الله عنان ط دار المعارف بمصر٠

ابن حمزة: إبراهيم محمد الحسيني الحنفي الدمشقيّ(ت١١٢٠هـ)"البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف"ط دار المعارف بمصر٠

الحمويّ: ياقوت بن عبد الله:(ت٦٢٦هـ)"معجم البلدان" ط دار إحياء التراث العربيّ بيروت وط دار صادر بيروت – الثانية– ١٩٩٥م ٠

ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن محمد:(ت٣٧٠هـ)"مختصر شواذ القرآن"عنى بنشره ج برجستراسر ط مكتبة المتنبي بالقاهرة٠

الخطابيّ: أبو سليمان حمد بن محمد البستي:(ت ٣٨٨هـ)"معالم السنن"تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ-٠

الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون:(ت٣١١هـ)"السنة" تحقيق د٠عطية الزهرانيّ ط دار الراية بالرياض- الأولى- ١٤١٠هـ٠

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد:(ت٨٠٨هـ)"مقدمة ابن خلدون" ط دار القلم بيروت- الأولى- ١٩٧٨م ط مصورة- وط مصطفى محمد بالقاهرة٠

ابن خَلَّكَان: شمس الدين أحمد بن محمد:(ت٦٨١هـ)"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" تحقيق د٠ إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت٠

خليفة: أ٠د٠إبراهيم عبد الرحمن:" الدخيل في التفسير" ط القاهرة٠

ابن خير: محمد بن خير الأمويّ:(ت٥٧٥هـ):"فهرست ابن خير"تحقيق كوديرا وروبيرا ط مكتبة الخانجي بالقاهرة- والمثنى ببغداد - الثانية- ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م٠

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الحافظ:(ت٢٧٥هـ)"سنن أبي داود" ط دار الحديث بالقاهرة - الأولى- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م٠

ابن أبي داود: أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الإمام الحافظ:(ت٣٢٦هـ)"المصاحف"ط مؤسسة قرطبة ١٩٨٦م- وط دار الكتب العلمية بيروت - الأولى- ١٤٠٥هـ٠

الداوديّ: شمس الدين أحمد بن محمد(ت٩٤٥هـ)" طبقات المفسرين" تحقيق على محمد عمر ط مكتبة وهبة بالقاهرة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م٠

الدمشقيّ: أبو القاسم تمام بن محمد الحافظ :(ت٤١٤هـ)"مسند المقلين من الأمراء والسلاطين" تحقيق مجدي فتحي السيد ط دار الصحابة للتراث - طنطا-الأولى-١٤١٠هـ- ١٩٨٩م٠

الدهلويّ: أبو الفياض ولي الله أحمد بن أبي الفيض عبد الرحيم وليّ الله: (ت١١٧٦هـ):"الفوز الكبير في أصول التفسير" ط إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ ط هدية مجلة الأزهر٠

الذهبيّ: شمس محمد بن أحمد:(ت٧٤٨هـ)"سير أعلام النبلاء"تحقيق شعيب الأرنؤوط- ط مؤسسة الرسالة بيروت٠

الذهبيّ:أ٠د٠ محمد حسين"التفسير المفسرون"ط دار القلم بيروت– الأولى– بدون تاريخ"الإسرائيليات في التفسير والحديث" للدكتور الذهبيّ ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤١٥هـ– ١٩٥٥م٠

الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر:(ت٦٠٦هـ)"تفسير الفخر الرازي" المعروف بـ:"مفاتيح الغيب "ط دار إحياء التراث العربي– بيروت– الثانية– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م٠

الزرقانيّ: محمد عبد العظيم"مناهل العرفان في علوم القرآن" ط عيسى الحلبيّ بالقاهرة٠

الزمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزميّ الإمام:(ت٥٣٨هـ):"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"ط دار الفكر بيروت٠

أبو زهرة:الإمام محمد محمد:"المعجزة الكبرى القرآن الكريم"ط دار الفكر العربيّ بالقاهرة سنة١٣٩٠هـ٠

أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العماديّ(ت٩٢٣هـ)"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" المعروف بـ:"تفسير أبى السعود"ط دار إحياء التراث العربيّ بيروت– الثانية١٤١١هـ–١٩٩٠م٠

السيوطيّ: جلال الدين عبد الرحمن:(ت٩١١هـ)"الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ط دار الفكر بيروت١٩٩٣م–"لباب النقول في أسباب النزول" ط دار الكتب العلمية بيروت٠

شلبي: د٠أحمد شلبي:"الفكر الإسلامي منابعه وآثاره" ط مكتبة النهضة المصرية – الثالثة– ١٩٧١م٠

أبو شهبة: أ٠د٠محمد محمد:"الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ط مكتبة السنة بالقاهرة – الرابعة– ١٤٠٧هـ– ١٩٨٨م٠

ابن أبى شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفيّ العبسيّ:(ت٢٣٥هـ)"مصنف ابن أبى شيبة" تحقيق كمال يوسف الحوت ط مكتبة الرشد بالرياض– الأولى–١٤٠٩هـ– وط سعيد اللحام ط دار الفكر بيروت٠

الصفدىّ: صلاح الدين خليل بن أيبك:(ت٧٦٤هـ)"نكت الهميان في نكت العميان" تحقيق أحمد زكى باشا ط القاهرة ١٩١٠م٠

الضبىّ:ابن عميرة أحمد بن يحيى:(ت٥٩٩هـ)"بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس"ط دار الكتاب العربيّ بالقاهرة سنة١٩٦٧م٠

الطبريّ: محمد بن جرير أبو جعفر:(ت٣١٠هـ)"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" المعروف بـ:"تفسير الطبريّ"ط دار الفكر بيروت- الثانية- ١٣٧٢هـ- وط بتحقيق الشيخين أحمد ومحمود محمد شاكر ط دار المعارف بمصر-" تاريخ الطبريّ" ط دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٧هـ-

طنطاويّ: أ٠د٠ محمد سيد:"التفسير الوسيط للقرآن الكريم"ط الكليات الزهرية بالقاهرة٠

ابن عبد البرّ: أبو عمر يوسف بن عبد الله:(ت٤٦٣هـ)"التمهيد لما في الموطأ من المعانى والأسانيد"تحقيق مصطفي بن أحمد العلويّ ومحمد عبد الكبير البكرىّ ط وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب٠

الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد النحويّ:(ت٢٠٧هـ)"معاني القرآن" تحقيق د٠أحمد محمد يوسف نجاتي ومحمد عليّ النجار ط دار السرور٠

الفيروزباديّ: أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب:(ت٨١٧هـ)"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" ط المكتبة العلمية بيروت-"القاموس المحيط "ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مصورة عن ط بولاق٠

القرطبيّ: أبو عبد الله أحمد بن محمد الأنصاريّ الخزرجيّ:(ت٦٧١هـ)"الجامع لأحكام القرآن" المعروف بـ:"تفسير القرطبيّ" تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ط دار الشعب بالقاهرة- الثالثة-١٣٧٢هـ٠

الكتانىّ: أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد:(ت٤٦٦هـ)"الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" ط مكتبة الكليات الأزهريّة بالقاهرة٠

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي:(ت٧٧٤هـ)"تفسير القرآن العظيم" المعروف بـ:"تفسير ابن كثير"ط دار الفكر بيروت١٤٠١هـ٠

مؤنس: د٠حسين"معالم تاريخ المغرب والأندلس" ط المستقبل بالقاهرة - الأولى- ١٩٨٠م٠

المهديّ: أ٠د٠ جودة محمد محمد:"الواحدىّ ومنهجه في التفسير"ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٧٨م٠

النيسابوريّ: مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ:(ت٢٦١هـ)"صحيح مسلم"تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط عيسى الحلبي بالقاهرة، وط المكتبة السلفية بالقاهرة٠

الواحدىّ: أبو الحسن عليّ بن أحمد:(ت ٤٦٨هـ)"تفسير الواحديّ" تحقيق صفوان عدنان داودى ط دار القلم- الدار الشامية- دمشق، بيروت- الأولى-

١٤١٥هـ-"أسباب نزول القرآن"تحقيق السيد أحمد صقر ط لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة- الأولى- ١٣٨٩هـ- ١٩٩٦م٠

الهيثميّ: نور الدين عليّ بن أبي بكر الحافظ:(ت٨٠٧هـ)"بغية الباحث في زوائد الحارث"تحقيق د٠حسين أحمد صالح الباكرى ط مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة- الأولى-١٤١٣هـ-١٩٩٢م " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"ط دار الريان للتراث، دار الكتاب العربيّ بالقاهرة- وبيروت١٤٠٧هـ٠

الواقديّ: محمد بن عمر:(ت٢٠٧هـ)"مغازي الواقديّ" تحقيق د٠ مارسدن جونس ط عالم الكتب بيروت٠

اليافعيّ: عبد الله بن أسعد بن عليّ اليمنيّ:(ت٧٦٨هـ)"مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان " ط مؤسسة الأعلميّ بيروت٠

أبو يعلى: أحمد بن عليّ بن المثنى الحافظ:(ت٣٠٧هـ):"مسند أبي يعلى"تحقيق حسين سليم أسد ط دار المأمون للتراث دمشق- الأولى-١٤٠٧هـ-١٩٧٨م-"معجم أبي يعلى" تحقيق إرشاد الحق الأثرى ط إدارة العلو٠